المشرق

يوبيل كليّة اثينا ومؤتمر المستشرقين

ذكرى للاب لويس رتزڤال اليسوعي ممثّل مكتبنا الشرقي

كان يوم الفصح في هذا السنة من اجلّ الاعياد وابهج المواسم لاهل اثينا فانطبع ذكرهُ على صفحات قلبهم طبعاً يقوى زمناً طويلاً على آفات الدهر. وقد دام هذا العيد اسبوعاً كاملاً (من ٧ الى ١٤ نيسان) توالت فيهِ الافراح على عاصمة اليونان والمتوافدين اليها

السنة الجارية هي السنة الخامسة والسبعون لانشاء مدرسة اثينا الجامعة المعروفة بالكليّة الوطنيّة (١ فاراد اصحابها ان يحتفلوا بيوبيلها الالماسي احتفالاً فائقاً ازداد رونقهُ بعقد مؤتمر المستشرقين السادس عشر على مقتضى اتّفاق المؤتمر السابق في كوبنهاغ (٢. فكان لازدواج حفلات الموسّين مجلبة لجماهير الوافدين الى حاضرة اليونان (٣ وذلك ما كان يرغبهُ اهلها وان اضرّ نوعاً باعمال المؤتمر وعاق حركات المستشرقين

١) في اثينا كليّة أُخرى تُنسب الى كابو دستريا (Capo d'Istria) احد زعماء الاستقلال اليونانيّ واول رؤساء الجمهوريّة اليونانيّة سنة ١٨٣٢

٢) مؤتمرات المستشرقين تُعقد كل اربع سنوات فكان مؤتمر كوبنهاغ عيّن سنة ١٩٠٨ مدينة اثينا لاقامة المؤتمر التالي. وفي هذا العام لم يتّفق المؤتمرون في اثينا على اختيار المدينة للمؤتمر التالي وقد عيّنوا لجنة تهتمّ بالامر

٣ ولذلك كنت ترى في شوارع اثينا كثيرين من الوفود عارضين على صدورهم وساميّن وسام المؤتمر المثّل لإلهة الحكمة كما رسناهُ هنا ووسام النوّاب لحضور الاعياد اليوبيليّة وهو عبارة عن كوكط مستدير يمثّل رأس الإلهة فقط

كلٌّ يعلم انّ المؤتمرات تتألف من النواب الذين توفدهم رسميّاً الدول او الجمعيّات العلميّة ثمّ من الخواصّ الذين يحضرون باسمهم الخاصّ جلسات المؤتمر. ففي هذه السنة كان عدد الوفود متضاعفاً لرسلت الدول بعضهم لمؤتمر المستشرقين والبعض الآخر لاعياد اليوبيل وكذلك كان انضمّ الى المؤتمر عدد عديد من الذوات ليس رغبةً في الدروس الشرقيّة بل توقاً للحفلات التي كانت لجنة المؤتمر وعدت بها وافاضت سلفاً في اوصافها. وكان من جملة الامتيازات الحاصل عليها اعضاء المؤتمر ان يُسمح لهم بحضور الاعياد الدينيّة والاجتماعات المدنيّة التي عوّلت الكليّة على اقامتها بل كانوا افردوا للمستشرقين امكنةً خاصّة احتفاء بهم وذلك ما دفع كثيرين حتى السيدات والاوانس ان ينضمّوا الى المستشرقين ويصطبغوا بصبغتهم لمدّة ثمانية او عشرة أيام. ومن ثمّ رأت اثينا القوم يتوافدون اليها منذ اوائل اسبوع الآلام ويملأون في أنزالها وفنادقها حتى ان الذين تأخروا عن هذا الميعاد الى جمعة الفصح لم يجدوا لهم مكاناً الّا على شروط باهظة (١

وكانّ الظروف كلها قد اجتمعت لتكسو هذه الاعياد حلّةً من الفخر والبهجة فانّ الكليّة الوطنيّة كانت قبل يوبيلها بقليل احتفلت بعرس رئيسها الذهبي السيو

١) يسوءنا ان نذكر هنا ما اظهره بعض ارباب المنازل العموميّة من الجفاء والطمع والغلوّ في الاسعار الّا بعضهم كالسيدة ماك تاكرت (Mac Taggart, *rue du Stade*, 12) التي هيّئت للنزّالة في محلها راتباً وسطاً واحسنت معاملتهم طول زمان اقامتهم عندها — وممن اثاروا عليهم شكاوى الوفود عمّالُ السكك الحديديّة والسفن البحريّة. فانّهم لم يفوءوا بعهود لجنة المؤتمر التي كانت في اوراقها الرسميّة تعهّدت باسعار متهاودة على خطوطها البرّيّة والبحرية لناقلي بطاقاتها المعطاة بحاقها فخاب امل كثيرين بهذه المواعيد وكان العمّال لا يرضون بقطع اوراق السفر على حسب الشروط لاسباب يتمحّلونها فتارةً يزعمون انّ الشروط لا تتمّ الّا للذاهبين والآتين معاً وتارة يطلبون مصادقة دولة الوافدين فضلاً عن لجنة المؤتمر او يميّزون بين التعاريف النظريّة (كذا) والتعاريف الجارية. الى غير ذلك ممّا كدّر خواطر كثيرين من المستشرقين وكانوا قد رأوا خلاف هذه المعاملات في المؤتمرات السابقة حيث كان البلد الذي يحلّونه. والشركات التي يعاملونها تتحفّى بهم وتُحسن وفادتهم. وقولنا هذا لا يعمّ الشعب اليونانيّ الذي آنس بالمستشرقين واستقبلهم استقبالاً شائقاً مقتدياً في ذلك بملك اليونان والاسرة الملكيّة نفسها

لمبروس (Sp. Lambros) . ثمَّ انَّ الأمَّة اليونانية كانت خرجت من محنة الانتخابات ظافرةً بجلّ رغائبها فقرَّرت رئاسة الوزارة لفنزيلوس وذلك باغلبيَّة الاصوات العظيمة ورأت في تجديد انتخابهِ ضامناً للسلام وللاصلاحات الداخليَّة لما تؤمّل البلاد من حكمتهِ ودرايتهِ ومن تحقيق امانيها في وقت قريب .

وضاعف هذه الافراح التوفيقُ بين عيد الفصح وحفلة افتتاح المؤتمر وذلك في سنة اتفق فيها وقوع الاعياد الفصحيَّة يوماً واحداً على موجب الحسابين الشرقي والغربي فظهر الكلُّ في مجلى واحد من التقى والاتحاد ونسوا ما يفصلهم من اسباب الشقاق والنزاع الديني

ومعلوم ان الدولة اليونانيَّة تعضد الدين وتعترف بهِ رسمياً فكانت الحفلات الدينيَّة تجري باتفاق الهيئتين الدينيَّة والمدنيَّة معاً . ففي مساء جمعة الآلام كنت ترى جماهير الاثينيين خارجين من كنائس المدينة وطائفين بانتظام ومشيّعين لتمثال السيد المسيح ذكرًا لدفنهِ (τὸ ἐπιτάφιον) وكان يسير امام الشعب كوكبة من الجند يدقُّون النفير او يضربون الطبول على نَغم شجيٍّ محزن ويتبعهم جوق المرتلين ثم الكهنة والتمثال ووراءهم يحملهُ على المناكب اربعة من وجوه المدينة بازيائهم الرسميَّة . ووراء الصورة جمهور غفير من الشعب في ايديهم المصابيح الموقدة يتغنُّون بالاغاني الروحيَّة . وكنَّا نشاهد مواكب متعددة تسير في انحاء المدينة فيؤثر منظرها في ناظريها كأنَّها تمثل ما جرى على قمَّة الجلجلة مساء يوم صلب المسيح او في دفن الشهداء الاولين بعد جهادهم وموتهم في سبيل الايمان .

وكانت لجنة التدبير عيَّنت لاصيل يوم سبت النور عقد حفلةٍ اجتماعيَّة لانتخاب رؤساء يتولَّون في ايَّام المؤتمر كل فرع من فروع العلوم الشرقيَّة . وهي حفلة مهمَّة لتنسيق الدروس وتنظيم مجريات المؤتمر . الَّا انَّ تلك الحفلة لم تُعقد ولعلَّهم رأوا انَّ عدد المستشرقين لم يكمل بعد . فكان هذا الخللُ داعياً لبعض الاضطراب في جلسات المؤتمر التالية لعدم معرفتهم بزعماء كل قسم وكتَبَة لسراوهِ

وحصل اضطراب آخر بسبب تقارب ساعات الحفلات اليوبيليَّة والجلسات العلميَّة فكانت تلك الحفلات تطول فتُزاحم الساعات المعيَّنة للمؤتمر حتى تقصر اوقاتها فلا

يمكن عقدها في الازمنة المعيَّنة او الامكنة المعهودة فنتج عن هذه التغييرات سوء تفاهم وانزعاج

وفي ليلة عيد الفصح نصف ساعة قبل منتصف الليل أُقيمت في الكنيسة الكاتدرائيَّة رُتبة احد القيامة بحضور جلالة الملك وجماهير الشعب والمدعوّين. ومن عادة اليونان انهم يقضون تلك الليلة ساهرين متهجّدين. وفي هذه السنة زاد اقبال الاثينيين على الحفلات الليليَّة فأحيوا الليل فرحاً مع المسيح القائم من قبره

*

وما كانت الحفلات الموصوفة الَّا مقدّمات سبقت افتتاح عيد يوبيل الكلية ومؤتمر المستشرقين الذي كان موعدهُ في مساء يوم القيامة على اكمة اكروبوليس (l'Acropole) المشرفة على المدينة وفي نادي البرثينون (Parthénon) البديع الذي اقامهُ قدماء اليونان هيكلًا لالهة الحكمة والفنون الجميلة مينرفا ثم حوَّلوهُ في القرون المتوسطة الى كنيسة من الطرز البوزنطي. فما كان أحرى ذلك المعهد الشريف بان يُصبح مقاماً لافتتاح الاعياد اليوبيليَّة بحضور اكابر الناس وممثّلي الدول

فبعد الظهر بنحو ساعتين كنت ترى القوم يزدحمون كالبناء المرصوص في لحف الاكمة ليصعدوا الى قمتها. وهم كذلك اذ تقدَّم جلالة الملك راكباً عربة الاوتوموبيل وفي اثره عجلتان اخريان ركبتها اسرة الملك وحاشيتهُ وكبار دولته فاستقبلهُ الناس باصوات التهليل معلنين بتحمُّسهم الوطني وتوقَّلوا الاكمة بعدهُ. وكنَّا نحن نسير في رفقة النواب والمؤتمرين مع اثنين من الرهبان اليسوعيين قدما مثلنا لحضور مؤتمر المستشرقين وعلى صدورنا شارة المؤتمر. فصعدنا متَّجهين الى موقع البرثينون حتى بلغنا في اواسط الاكمة الى المدخل الجليل المزدان بالاعمدة (Propylées) فلاحت لنا تلك المشاهد التي اتسع في وصفها كل من زارها من السيَّاح

وغاية ما يُقال ان البصر يمتدّ من اعالي تلك الاكمة فيشرف على مناظر فتَّانة تأخذ بمجامع الصدر وتسحر اللبَّ سحرًا ويزيد بهاؤها على قدر صعود الصاعد الى مشارفها (١). واتَّفق ان صعودنا كان في احد أيام نيسان عليل النسيم وصافي الاديم

(١) اطلب ما كتبهُ مؤخرًا في هذا الصدد جناب الكاتب برتران (Louis Bertrand : *Paysages de Grèce et d'Orient*)

فكانت الشمس تشعُّ على الرياض وعلى معاطف ربوتَي هيات (Hymette) وليكابات (Lycabette) فتصبغ بانوارها النبات الندي وتلثم الزهور المتفتحة بجرارتها بينا كانت اشعتها تضرب صفيحة البحر اللازوردية من جهة مرفإ فاليرة (Phalère) الطافئ فوق المياه الزرقاء كالدرة بين الزبرجد. ففهمتُ لدى ذلك المنظر البهي كم تتضاعف محاسن الاشياء اذا كانت في مواقع تليق بها كما يزيد رونق الحجر الكريم في خاتم جميل. فكذلك بناء البرثينون على قمّة الاكروبوليس زادهُ فخرًا على فخر

ونحن غائصون في هذه الافكار اذ بلغنا المدخل الفخيم حيث كان سبقنا جلالة الملك جورج والملكة اولغا وولي العهد مع قرينتهِ السيدة صوفيا اخت الامبراطور غليوم الثاني وسائر الامراء والاميرات ليستقبلوا الوفود ويرحّبوا بهم. ثم بعد عبورنا المدخل المذكور رقينا الدرجات التي تنتهي الى البرثينون من جهة الشمال. فلقينا هناك سيادة مطران اثينا تحفُّ بهِ طائفة من طلبة الكليَّة وفي يد احدهم راية جميلة عليها صورة السيد المسيح.

وما لبث الموكب الملوكي ان وصل الى باب البرثينون فصدحت الموسيقى وتعالت اصوات الهاتفين لهُ بالدعاء حتى بلغت عنان السماء. واذ جلس الملك في سدَّة النادي وأسرتهُ حواليهِ قام على دكَّة هناك ابنهُ وليّ عهدهِ الامير قسطنطين فالقى خطابًا باليونانيَّة اعلن فيهُ رسميًّا افتتاح اليوبيل والمؤتمر واحسن التحفي بالنوّاب واعضاء المؤتمر. وعقبهُ وزير المعارف المسيو الكسندريس ثم المسيو لمبروس رئيس الكليَّة فتلوَا خطابين بليغين في اليونانيَّة والفرنسويَّة ووزّعاهما بعد ذلك مطبوعَين عند نهاية الحفلة. ثم قام بعد خطباء اليونان مُمثلو الدول الاجنبيَّة مُطرين بمحامد اثينة دار العلوم ومهنئين اهلها بهذه الاعياد الوطنيَّة ومؤملين خيرًا من تلك الحفلات لفخر الأمَّة وخدمة العلم. وامتاز بين الخطباء المسيو ماكس كولينيون (Max Collignon) احد اساتذة كليَّة باريس والمسيو دَلبروك (B. Delbrück) من كليَّة يانا والمسيو ماهفي (Ma' Haffy) فخطب الاوَّل بالفرنسويَّة خطابًا انيقًا فصيح اللفظ بليغ المعنى وخطب الثاني بالالمانيَّة بكل تحمُّس وتكلم الثالث بالانكليزيَّة برقَّة ولطف فقكَّه الحضور بعارضتهِ

وكان المصورون في اثناء ذلك يرسمون بالتصوير الشمسي كل مـا يجري من الحركات لينقلوها الى آلة الكينياتغراف لان لجنة الاعياد كانت دوّنت في جملة حفلاتها جلستين لتمثيل ماجريات اليوبيل والمؤتمر بالنور الكهرباني والكينياتغراف

وفي اثر هذه الجلسة تفسّح الوفود قليلًا ثم دُعوا الساعة ٥٫ الى دار المعروضات المدعوة زابيُّون (Ζάππειον) وهذه الدار في خارج المدينة على شكل نصف دائرة موقعها جنوبي الحديقة الملكيّة . فكان ارباب الكليّة وطلبتها اعدُّوا هناك للمدعوّين الحلويات والمرطّبات فآنسوهم وتلطفوا في استقبالهم وضيافتهم وادخلونا في باحة الدار الرحبة فقضينا جانباً من الزمان يتعرّف بعضنا بالبعض الآخر . فكانت لعمري ساعة غاية في السعد والبهجة رأت فيها العين مشاهير الرجال الذين كان عشقهم القلب سابقاً لسمعتهم ولمطالعة تآليفهم

وكانت الموسيقى الوطنيّة في غضون ذلك تصدح بالحانها المطربة . وامّا الطرب بلغ غايتهُ اذ باشرت الجوقة بلحن شرقي (١ يشنف الآذان وقامت لوقتها فئة من طلبة الكلية فرقصوا على ايقاع اللحن رقصةً يدعونها السَّحْب او الجَذب (συρτός) كرقص اهالي لبنان في مواسمهم . فكان لحركاتهم احسن وقع في قلوب الحضور لاسيا الذين لم يعرفوا بعد عادات الشرقيين

وفي الساعة ٩٫ مساء كان ختام ذلك اليوم الجليل بحفلة عظيمة عُقدت في ديوان الكليّة الكبير . وكان الملك حاضراً مع اسرتهِ يجامل المندوبين للاعياد ويلاطفهم وحضر ايضاً كثير من اعيان الدولة في مقدّمتهم رئيس الوزارة ثيوتوكيس . وكان بين الاجانب كثيرون من ذوي الشهرة نخصّ بالذكر دولة الامير فؤاد عم

١) لا تزال النغمات الشرقيّة شائعة في اليونان فمن قائل انّها غريزة من غرائز البلاد الجنوبيّة واغاء الشرق ومن زاعم انّها موروثة عن الموسيقى البوزنطيّة . ويذهب غيرهم انّها بقايا من الالحان التتريّة مدة تملُّك بني عثمان على بلاد اليونان . والمرجح انّ هذه الاسباب كلها اثرت معاً في النغمات اليونانيّة . ومما اذهلنا غاية الاندهال اننا في مدة اقامتنا في رومية كنا نسمع القرويين يتغنّون باغاني مختلفة تشبه الشبه التام موالي اهل لبنان او حدو العرب . بل لحظنا ان بقيّة القوم اذا اسمعوك الحاناً من كبار الموسيقيين الايطاليين كفردي اردفوها بلحن شرقيّ . وهو امر جدير بالاعتبار يدلّ على تأثير التمدن القديم في البلاد التي كانت تحت حكم دول مختلفة

الحضرة الخديوية. فكان جلالة الملك يرحّب بالجميع ويتنقل بين فئاتهم ويصافحهم وقُدمت ثانيةً المرطبات وضروب الحلويات للجميع وبقي الحديث دائرًا الى قرب منتصف الليل.

والكليّة اليونانيّة التي كنّا تلك الليلة في معاهدها قد أُنشئت سنة ١٨٣٧ اي منذ ثلثة ارباع القرن وتولّى هندستها وبناءها المهندس الدنيمركي هانسن (Hansen) الذي شيّدها على طرز الهياكل اليونانيّة القديمة ففاقت على كلّ الابنية الحديثة في اثينة ونقشها بالالوان الزهيّة مع مراعاة الذوق السليم. وجعل موقعها في الساحة المعروفة اليوم بساحة الكليّة متوسطةً بين بنايتين أُخريين جميلتين اعني المكتبة العموميّة ودار العلوم وكلتاهما ايضاً من الطرز اليونانيّ وبالرخام البنتيلي الشهير فجاء مجموع هذه الابنية الثلثة زينة وفخرًا لمدينة اثينة

وفي داخل الكليّة المعاهد الواسعة والحُجر المنظّمة لالقاء الدروس بينها الديوان الفخيم الذي كنا مجتمعين فيه وهو مزدان بالنقوش اللطيفة. وعلى جدرانه مجموع صور رؤساء الكليّة ومشاهير اساتذتها

امّا نظام الكليّة فعلى نظام الكليّات الالمانيّة (١ فلها شورى تُعنى بادارتها ورئيس يختارونهُ كل سنة ويدعونهُ پروتانيس (πρύτανις). والكليّة على خمسة اقسام او مكاتب كبيرة يُعلّم فيها ٥٦ استاذاً يساعدهم في المراجعات والمذاكرات ٥٧ آخرون امّا عدد التلامذة فبالغ ٢٥٠٠ ثلاثة ارباعهم يدرسون الطب والحقوق

*

وكان ثاني عيد الفصح شبيهاً بالاحد في مواسمهِ ومظاهراتهِ بل زاد عليهِ رونقاً. وفي الصباح أُطلقت المدافع ايذاناً بالحفلات المنتظرة. ولمّا قربت الساعة العاشرة

(١) بين اليونان والمانية علائق وثيقة منذ تولّت تدبيرهم سلالة باقاريّة ثم دنمركيّة فترى الناشئة تتوارد الى المانية لتتخرّج في كليّاتها. وكثير من اساتذتها درسوا هناك فيحسنون التكلم باللغة الالمانيّة أكثر من الافرنسيّة. امّا إصلاح الجيش فقد عهد به اليونان الى عمدة افرنسيّة كما عهدوا باصلاح الشرطة الى بعثة ايطاليّة على مثال تركيّة قبل حربها الماليّة. والملازم الذي يقوم بهذه المهنة يُدعى دي منداتو (de Mandato) وهو اخو حضرة رئيس الكليّة الغريغوريّة في رومية

تقاطر معظم الناس الى جهات الكنيسة الكاتدرائية مزدحمين على ممرّ الملك. واذا بالنفير الحدّ يدقّ مشعراً بخروج جلالتهِ من قصرهِ فدوى الجوّ باصوات الهاتفين لاكرامهِ وانفتح الطريق لموكبهِ فكان الملك والملكة راكبين مركبة فاخرة يقلّها اربعة من الجياد المطهّمة وكان يتقدّم المركبة ياوران افرنسيان وتتبعهما مركبات البلاط للعترة الملكيّة بينما كانت جماهير الشعب تحيي ملكها بالسلام

ثم دخل الملك الى الكنيسة وجلس مع حاشيتهِ على يمين الهيكل فوق مرتبة أُعدّت لهم. ودخل الطروبوليت مع لفيف الكهنة والاكليروس من باب الايقنستاس الكبير. واتّفق ان نُحضر هذه الحفلة بصفة اعضاء المؤتمر. ثم ابتدأت الرتبة الدينية التي نُختصت بتسبحة الشكر (Te Deum) فباشر بها الطروبوليت باليونانية وغنّاها بعده' جمهور المرتلين ليس على تلحين الغناء البوزنطي كما كنتُ منتظراً ولكن على نغمة الموسيقى الحديثة وتوقيع الاصوات المتآلفة (١). اماّ تسبحة الشكر فتشبه كثيراً تسبحتنا اللاتينيّة المنسوبة الى القديس امبروسيوس وامكنني ان اتبع معانيها الى القدّوس (Sanctus) . وقرئت بعد غناء التسبحة الدبتيخات والادعية لرؤساء الدين وطلبات المؤمنين ثم عقبها التبخير المعتاد للملك ولسرتهِ وكافة الحضور وخُتمت الرتبة بمصافحة الطروبوليت لجلالة الملك والامراء.

وما انتهت هذه الحفلة الدينية حتى اسرع الناس فانتقلوا الى طرف المدينة حيث الميدان والحديقة الملكية ليحضروا استعراض الملك للجيش وكان الجند قد انتظموا هناك على اختلاف دوائر فِرَقهم من مشاة وفرسان وطوبجيّة تحت نظارة اركان الحرب والضباط. ففي الساعة الحادية عشرة والربع تناقلت الافواه اسم الملك واذا بجلالته مع وليّ عهدهِ قدما وكانا هذه المرّة لابسين البزّة العسكرية ووراكبين فرسين كريمين فمرّا امام الجيش واستعرضا الجنود ورتّبا حركاتهم بايعاز قوّادهم ثم اثنى الملك على حسن نظامهم فحيوه' بالنصر

---

١) واليوم كادت الكنيسة الروسيّة تسل الغناء البوزنطيّ وتنوب عنهُ بالموسيقى الجوقيّة وكذلك كنائس اثينا فانّ الموسيقى البوزنطيّة فيها على تقهقر فليس كنيسة الاّ وتُخرّج فيها الباسيليكا بالنغمات المستحدثة

قلنا ان الحكومة اليونانيّة عهدت بتنظيم جيشها الى ضبّاط افرنسيين. وقد سمعنا في اثينا غير مرّة اهلها يشكرون طريقتهم في تمرين الجند على الآداب الحربيّة. وكان البعض يرون انّهم يبالغون في التدقيق وحفظ النظام لكنّنا عددنا ذلك من حسن خصالهم. وما لا ينكرهُ احد ان الضباط الفرنسويين يتفانون في خدمة اليونان ويبذلون الجهد والمجهود في تقوية جيشهم وقد عرف لهم الشعب غيرتهم ويحسبهم من افضل المساعدين على الاصلاحات التي ينويها فنزيلوس. وكما يشكر اليونان حسن تصرُّف الفرنسويين في تمرين الجيش ولاسيما الجنرال ايدو (Eydoux) كذلك سمعنا الكهنة الكاثوليك في اثينا يثنون على تديُّن اولئك الضبّاط الذين لا يهملون شيئاً من واجبات الدين فهم بتقاهم قدوة طيبة لليونان الارثذكس

وفي عصر النهار عُقدت في ديوان الكليّة جلسة عموميّة حضرها ايضاً الملك وذووهُ فتناوب في منبر الخطابة رئيس الكليّة ثمّ منتدبو الدول والجمعيّات العلميّة فلفظوا الخطب البليغة في تهنئة اليونان باعياد اليوبيل باسم الذين اوفدوهم لحضور هذه الاعياد وكان لبعض هذه الخطب الوقع العظيم في قلوب السامعين فصفقوا لها التصفيق المتتالي لاسيما خطبة المؤرخ الشهير غدفروا كورث (God. Kurth) وكان هذا الاجتماع مهيباً جدًّا لحضور اساتذة الكليّة ببزّاتهم الرسميّة الآخذة بالابصار

على انّ هذه الحفلة مع حسنها طالت فتعدّت على الوقت المعيَّن لجلسة المستشرقين حتى ان بعض اقسامها لم يمكنها ان تجتمع او قصّر وقت اجتماعها فلم يستوفِ الخطباء كلامهم كما شاؤوا. فالقسم المختصّ بالدروس الاسلاميّة مثلًا لم يقم بمواعيد لائحتهِ المطبوعة وفي هذه الجلسة عيَّنوا العلّامة غلدتسير (J. Goldziher) استاذ اللغات الشرقيّة في بودابشت كرئيس هذا الفرع والمسيو سنوك هرغروني (S. Hurgronje) من علماء ليدن كنائبهِ ثم اختار الرئيس كاتباً للاسرار الشاب الاديب لويس ماسينيون (L. Massignon). وحضر هذه الجلسة بعض علماء مصر كالشيخ احمد الاسكندري من اساتذة الازهر والشاعر احمد شوقي وسعادة احمد زكي باشا الذي خطب مرارًا في المؤتمر في اقسام شتى . وفي هذه الجلسة تلا حضرة الاب لامنس مقالة مستجادة عن المساجد وخواصّها في اوّل الاسلام

وكان مسك ختام ذلك اليوم المناورات التي قام بها الاثينيون فانّ طلبة الكليّة

ساروا الساعة ٩٫ في شوارع المدينة بالسُّرُج الموقدة وأتَوا مدَّة عشرين دقيقة أكمة الاكروبوليس فظهرت لاعين الشاهدين كشعلة نار لاحت لهم بين السماء والارض على هيئات عجيبة غريبة والوان رائعة بديعة كادت تسبي العقول فكنت ترى الابنية الاربعة الشيدة فوق الأكمة اي المدخل السابق ذِكرهُ وهيكل إلهة الانتصار (Victoire Aptère) والبرثينون وهيكل الايرختيون (Erechtheion) المبني قديمًا لاكرام اله البحر نبترن تبدو كلّها بصورها الهندسيَّة الجميلة وتقاطيع بهيَّة من النور ثمَّ كانت الوانها تختلف اختلافًا يزيدها حسنًا فتظهر حينًا حمراء وحينًا بيضاء او خضراء. ويظهر كل بناء على هيئة خاصة بالنسبة الى ما يليه. وكنَّا صعدنا الى ربوة ليكابيت لتسرّح النظر في هذا المنظر الفتّان الذي لن يبرح من ذاكرتنا طول حياتنا

*

في صباح الثلثاء الساعة التاسعة عُقدت محاضرات علميَّة في ديوان الكليَّة تخلّلتها الانوار الكهربائيَّة وأُجل منها قسمٌ لئلا تتأخر جلسات موتمر المستشرقين التي تمَّت في اوانها

امَّا المساء فدُعي نوّاب الدول مجرًا واعضاء الموتمر برًا الى زيارة آثار مدينة الوسيس (Eleusis) الشهيرة بهيكلها حيث كان قدماء اليونان يكرمون الإلهة سارس (Cérès) بُرتب سريَّة مخيجة وكان شيَّد هذا البناء زعيم الاثينيين بريكليس الكبير في القرن الخامس قبل الميلاد. وموقع الوسيس على ١٨ كيلومترًا شمالي غربي اثينة فسرنا في عربات السكة الحديديَّة التي أفردت لنا مجانًا ثم انقسمنا لدى وصولنا حسب بلادنا أقسامًا تدلُّ عليها رايات كل دولة وكان يصحب كلّ قسم استاذ او طالب من طلبة الكليَّة ليدلَّهُ على الآثار ويفسّر لهُ معانيها. ولما اجتمع كل الزوَّار وكان بينهم ركَّاب السفينة ايل دي فرنس (Ile de France) الراسية في مرفأ اليوم انتشت تلك البقعة وحييت في اعيننا أُلوسيس وهيكلها القديم. والوسيس اليوم بلدة صغيرة سُرَّ اهلها بمجيئنا وهناك قدّمت لجنة الاعياد للزائرين شيئًا من المآكل والمشروبات تحفّيًا بهم. وكانت وعدتهم بلهاة لتمثيل الرقص الوطنيّ الذي لم يتمَّ عملًا لسوء تفاهم حصل بين اصحاب اللجنة وشيخ البلد

يوم الاربعاء تمت محاضرات الكلية مع الانوار الكهربائية. وممّا سمعناه من المقالات المستحسنة سيرة لاحد أعراب رحمي داربًا وصف فيها اعمال حياته فقرأ هذه النبذة اللطيفة الاستاذ هس (G. Hess) ثم تلاه حضرة الاب اليسوعي دي جرفانيون (de Jerphanion) فعرّف تاريخ بعض الكنائس البوزنطيّة التي اكتشفها في «طوقاله كليسه» في برّ الاناضول ورسم صورها العجيبة بالانوار الكهربائية

وقامت كل اقسام المؤتمر في هذا اليوم باعمالها. فسمعنا بكل طيب الخاطر مقالة الدكتور غلدتسير عن فخر الدين الرازي ومعارفه في علم الكلام. ثم عقبتها مقالة الشيخ احمد الاسكندري في اللغة المصرية العامية ثم مقالة العلامة الالماني بكّر (C. H. Becker) عن نتيجة رحلة الارشيدوق دي مكلنبورغ الى قلب افريقية وما استفاده هناك لتعريف حالة المسلمين. ثم عرَّف جناب الاستاذ مرجليوث (D.S. Margoliouth) القسم السادس من كتاب معجم الادباء لياقوت الرومي الذي عُني بنشره ووصف المشرق اهمّية السابقة (ص ٣١٤ الخ). وقام في اثره الاديب لويس ماسينيون وبسط للحضور شيئًا من ابحاثه عن احد مشاهير الخوارج الحسين بن المنصور الحلّاج

وفي مساء النهار الساعة السادسة عُقدت حفلة موسيقية في معهد الجمعية المعروفة بالبرناس (Parnasse) حيث كنّا نجتمع للمفاوضة في العلوم الاسلامية فسمعنا اصواتًا رخيمة لمشاهير ارباب الغناء وعدّة قدود موقعة على آلات الطرب منها اوربية ومنها يونانية

وفي الساعة ٩ مساء حضر البعض في المرسح الملكي تشخيص رواية اوديبوس الملك باليونانية الحديثة وقد اثنى الحضور على محاسن المرسح وإحكام الممثلين في تشخيص ادوارهم

ويوم الخميس حضرنا في المؤتمر جلسة عقدها الفرع المختص باليونانية الحديثة حيث تعرّفنا بعدّة علماء ممّن اصابوا شهرة في الدروس اليونانية القديمة والحديثة من وطنيين واجانب وكنّا وعدنا بتلاوة مقالة عن الالفاظ التركية الدارجة في اللغة اليونانية العامية في جهات الرومللي وخصوصًا في ادرنة

فقمنا بوعدنا واختصرنا يومئذ درساً موسعاً كنا نشرناه في ثلاثة اعداد من المجلة الاسيوية الفرنسوية في آخر العام المتصرم فوجد الحضور لذة في هذا البحث وتفاوضوا في مقترحاته ملياً

وبعد الظهر بوشر في الميدان بالعاب الجامعة اليونانية (Jeux Panhelléni-ques) التي تواصلت مدة ثلاثة أيام فحضرنا بعضها . والالعاب المذكورة عبارة عن رياضات بدنية شتى كالسباق في العدو والوثوب والصراع ورمي الكرة وغير ذلك مما يدل على حذق اللاعبين وقوتهم . وقد رأس هذه الالعاب ابن الملك وكانت تجري عدة العاب في وقت واحد . اما ميدان السباق في اثينا فتاريخه يترقى الى ليكرغس نحو السنة ٣٣٠ قبل الميلاد وكان طوله ٢٠٤ امتار في عرض ٣٣ متراً. وفي السنة ١٤٠ بعد المسيح جدّده هيرودس اتيكوس بمقاعد من رخام اقتلعوها من مقالع جبل بنتيليك التي فرغت بعده. ثم أهمل هذا البناء على توالي الاجيال ونُهبت حجارتها حتى قام قبل ٢٠ سنة احد المثرين اليونان في الاسكندرية المسيو افيروف فتبرع عليون من الفرنكات (وقيل اضعاف ذلك) لترميم هذا الميدان كي تقام فيه الالعاب الاولية سنة ١٨٩٦ . وهذا البناء المستحدث تخالف هيئته في الابنية القديمة الجليلة فهو مشيّد على شكل مستدير ودرجاته لا تقلّ عن ٤٤ صفاً لكنها بلا مساند .

وجرت غير ذلك من الحفلات مدة اسبوع النصح قام بها بعض الخواص او الجمعيات فما . الخميس دعا اصحاب الكتب الانكليزي الاميركاني وفود اليوبيل والمؤتمر الى حدائقهم الواقعة وراء بلاط وليّ العهد الذي حضر بينهم . وكانت سبقت يوم الاثنين السيدة شليان (Schliemann) ارملة الاثري الكبير الذي اكتشف آثار طروادة وعرف التمدن الميقيني فدعتنا الى دارها الفخم . وكذلك اجتمع المذكورون الى مقام فاليرة (Phalère) المعروف باكتاون (L' Actaion) بدعوة خاصة من المسيو لمبروس رئيس الكلية وقرينته . وكان الختام يوم السبت بدعوة المكتب الايطالي . . .

فترى ان اليونان القائمين بهذه الاعياد الشائقة لم يألوا جهداً في تجهيزها والنجازها على طريقة لائقة بشعب كريم. والحقّ يقال ان الذي يرى اثينا في عهدنا لا يتمالك عن الاقرار بتقدّمها ورقيها والفضل في ذلك يعود غالباً الى رئيس وزارتها فنزيلوس

المعروف بلين العريكة والحكمة والحزم وتشهد له اعماله العظيمة اذ عرف ان يجمع بدرايته كلمة اهل موطنه وينفي عنهم الشقاق والتحزبات كما أنهُ سعى في حفظ السلام مع الدولة العليّة ولم يشأ ان يطوّح بلاده في حرب مشؤومة كحرب ١٨٩٧ او امثالها. وقد كسب فضلاً عن ذلك ثقة اهل وطنه فنزع ما كان في قلوبهم من الحزازات والامل معقود على مواصلته تلك الخطّة مدّة رئاسته الجديدة

وكان ختام المؤتمر في ١٣ نيسان فأقيمت لذلك حفلة خاصّة تولّاها وزير المعارف وشكر فيها المسيو لمبروس وفود الاعياد وتكلم كثيرون من الخطباء كالمسيو بزنبرجو (Bezzenberger) ودي غوبرناتيس (A. de Gubernatis) وافاضوا في مدح اليونان وتمنوا لهم مزيد الاقبال. امّا تعيين المدينة للمؤتمر القادم فلم يتفقوا عليه بعد كما سبق وكانت الاصوات متقسمة بين القاهرة وليبسك وامستردام واوكسفرد او كمبردج

ثم افترقنا بعد الوداع وفي مساء ذلك النهار ركبنا الباخرة متوجهين الى الاسكندريّة شاكرين الله على ما انعم علينا بزيارة ارض اليونان وموطن الفنون الجميلة. امّا النتيجة من هذا المؤتمر فكنتيجة ما سبقهُ من الاجتماعات السابقة التي لا تُنكر فائدتها لتعزيز العلوم الشرقيّة وتوسيع دائرتها. ولعلّ هذه الفائدة تكون مضاعفة لو اقتصر التدوين على الجلسات العامّة دون مزجها بالاعياد والحفلات الوطنيّة. وكذلك من الواجب اللازب ان تُعيّن ساعات الاشغال بضبط وتدقيق فتُعقد الجلسات في اوانها. ومما يتمنّاهُ العقلاء ان يقصّر الخطباء كلامهم فلا يتجاوزون نصف الساعة في ايضاح مقاصدهم ويختاروا المواضيع الهامّة غير المبتذلة والمعروفة سابقاً فيعرضوها بكلام قصير مُفيد لانّ زمن المؤتمرات ثمين والعلوم واسعة فعسى هذه الاماني تتحقق في المؤتمر القادم ان شاء الله

ابن وائل

مأساة تاريخيّة نثريّة ذات ثلاثة فصول يتخلّلها شعر جاهلي

بقلم الاب شرل ابيلا اليسوعي (تتمّة)

الفصل الثالث

يمثّل المرسح غرفةً في حصن لبني بكر

المشهد الاوّل

المهلهل وقيس

المهلهل أللقتل ام للرقّ اخرجتني !

قيس لا لذا ولا لذاك ولكن لاطلاق سبيلك . (يحلّ قيوده) سِرْ سيدي المهلهل والحقْ بقومك تغلب

المهلهل فوّض اليك الحارث حراستي . (بقوة) أرجع اليَّ قيودي

قيس ولكن . . .

المهلهل اتجهل انيّ عديٌّ المهلهلُ ؟ لا . لا يلجأ الى الفرار سيدُ تغلب وخلَفُ وائل عليا

قيس مولاي ! . . .

المهلهل لا يُلِحّ عليَّ بالطلب . أرجع اليَّ قيودي فاني آليت على ألّا يحلّها لي الّا بعضُ اعدائي لأُقادَ الى الموت او بأس ابطالي فينقذوني بباسالتهم وبطشهم . . . وامّا ان ارضى انا بالذلّ وافرّ هارباً فيا حبّذا الموت الزؤام ولا هذا العار

اتسألني خليلي عن فرارٍ وعزُّ النفسِ لي فيهِ شعارُ
أأغدو هارباً فيقالَ عني جبانُ القوم أنجاهُ الفرارُ
أأغدو هارباً وانا عديٌّ أبيُّ النفس جلبابي فخارُ
أعِد قيدي فلستُ أُريدُ أمراً أتتنيَ منهُ مخزاةٌ وعارُ

قيس (يقبله) انا أُقبلك طوعاً لامرك ولكن عمّا قليل يحلّ اميرنا وثاقك ويقبل يديك

المهلهل ماذا تقول؟ اميركم الحارث بن عبّاد يحلّ وثاقي ويقبّل يديّ! لقد اعماك الجهل

قيس اميرنا الحارث بن عبّاد واميرنا الهجرس ابن اخيك وائل

المهلهل ابن وائل! بلغني انهُ وقف على حقيقة نسبه بعد ان كتمتموه اياه زماناً طويلاً فيه كان جساس اذاع بيننا موته . . . . اين ابن اخي؟

قيس ترك حيّنا وذهب الى تغلب حيث خالهُ اسيركم مُراده الفتك به انتقاماً لدم ابيه. ثم يعود لانقاذك بجيوش تغلب وأسد

المهلهل نعم الولد ولد وائل

قيس لكن لا حاجة الى العنف والقهر. فانّ قومي ينقادون اليهِ طوعاً . نُولجهُ الحصن ونساعدهُ على انقاذك

المهلهل أيخون بنو بكر سيدهم؟

قيس لن نخون الحارث بن عباد. هو سئمَ الحرب ويحب الصلح

المهلهل وجساس؟

قيس جساس بحث عن حتفه بظلفه. اغتنم فرصة تغيُّب الحارث فبعث يستحث تغلبيين على قتل الهجرس. لكنهما خُليا عنهُ وقد علِما نسبهُ بل ساعداه على جمع شمل بني تغلب واسد

المهلهل قبحاً لجساس من مخاتل مخادع . . .

قيس جساس قد اضجرتنا مخاتلته. اضجرتنا بغيهُ وظلمهُ. فها نحن معاشر ضبيعة ننشقّ عن بني شيبان

المهلهل الانشقاق في بكر!

قيس هو فيها ان ابت شيبان الّا معاضدة نذلها جساس. خطبتُ في بني ضبيعة واعلمتهم ما اضمر امير شيبان. فاضرمتُ لهُ في افئدتهم ناراً من البغض والغيظ. . . . قرَّ عيناً سيدي فالحصن حصننا وانت تُحَلُّ قيودك لا محالة

المهلهل وهل الحارث عالمٌ بهذا كلهِ؟

قيس اتاه ذهاب الهجرس الى حيكم

المهلهل وتعصّبكم لابن اخي ؟

لا علم للحارث به على انَّا نطلعهُ على الامر . وان ابى او تردَّد . . . .

قيس . . . . (يقاطعهُ) مهلًا يا اخا العرب ان ابى الحارث محاربة جساس فاني

المهلهل منكرٌ على الهجرس انقاذي بمونتكم . عارٌ عليهِ الخيانة . عارٌ عليهِ ان يبثَّ في القوم روح العصيان على اميرهم وان فعل فلا اعرفهُ ولا هو من سُلالة وائل وقد كتب دمهُ ومان . . . . انا عائد الى سجني

قيس سيدي !

المهلهل هوذا اميركَ مقبلٌ . قل لهُ ان عديًّا المهلهل لم يكن ليغمسَ يده في الخيانة مع اهل العصيان . انا اسيرُ الحارث فان شاء قتلني او تعبَّدني . وان احبَّ خلَّى سربي وعقد الصلح معي . فالموت والرقُّ احبُّ لديَّ من الخيانة والخداع . . .

على ان ليس عدلًا من عديٍّ إذا طلب السلامة عن غرورِ
على ان ليس عدلًا من عديٍّ . اذا ما أُوغرت ذات الصدورِ
على ان ليس عدلًا من عديٍّ اذا ما دبَّ بغضٌ في السَّعيرِ

(يخرج المهلهل)

المشهد الثاني

قيس وحدهُ

قيس أكرِم بعديٍّ المهلهل اميرًا . هو عظيمٌ في الاسر كما كان عظيمًا في ساحة الوغى . مثلهُ تكون الامراء والملوك فيحق لها التفاخر بكرم المحتد والصولة . (يدخل الحارث)

المشهد الثالث

الحارث قيس

الحارث ما الخبر عن الهجرس ؟

قيس لم يَعد بعد من ارسلتهُ في أثرهِ . ولكني اعلم علم اليقين ان الهجرس اذا

ما قصد امرًا فلا يعدلُ عن الانجاز . هو واغرُ الصدر على جساس ولا يعود الّا برأسِهِ

الحارث وان اوكن خاله الى الفرار ؟

قيس (وحده) الهرب خليقٌ بالنذل . (الى الحارث) ان فرَّ جساس لحق بهِ الهجرس ولو احتفر نفقاً في الارض او تسلّق سُلَّماً في الجوّ . فمع ابن وائل جيوشٌ عديدة تُنيلهُ ما يتمنّى

الحارث أتظن أنهم يفوزون بالنصر ؟

قيس لا اشكُّ بذلك وعهدي ببني شيبان جبناء اتكالا

الحارث وبنو ضبيعة ؟

قيس بنو ضبيعة . . . ثمّة مولاي أمر خطير لا اريد ان اكتمك أياه . فاني على علم من شواعر قومنا . هم خذلوا جساساً فلا يعاونونه

الحارث نعم . وقد علمت أنكم قتلتم نويرة

قيس كيف لا نقتلهُ وقد تواطأ مع جسّاس على قتل الهجرس

الحارث أيكون هنا منكم وانتم من بكر كبني شيبان

قيس بل نحن كلنا في حوزة الهجرس . كلنا في يده . كلنا على جسّاس إلبٌ واحد

الحارث ويلاه ! قد وقع الشقاق في بكر . . . ويلاه

جرّت علينا النائبات ذيولها حطّت بنا اواطئ الأقدامِ
يا آل بكرٍ ما الشقاقُ يُفيدكم الّا الشقاء ولوعةَ الاسقامِ
ان حلَّ هذا الخُلفُ في ساداتكم كنتم لدى الهيجاء غير كرامِ
وتُركتمُ يومَ الكريهة كُلكم ما بين مصروعٍ وآخرَ دامٍ . . .

. . . ثم كيف تستحلون معاضدة الهجرس عن غير رأيي وانا اميركمْ

قيس مولاي يعز علينا عصيان امرك ولكن جساساً قد بغى وطغى . لو لم يتبدّأ الهجرس بالثار لما يودي بمثلهِ

الحارث افلا وسيلة لاصلاح ذات البين (يفكر)

قيس لا يصلحها الّا عقاب جسّاس او كف الهجرس عن تطلب ثاره ولكن هيهات . . .

الحارث (يبتّ الرأي) حُلّ قيود المهلهل وعليّ بهِ (يخرج قيس)

المشهد الرابع

الحارث وحده جالساً

تنازعت قلبي الاكدار. ووقفت عندها الافكار. أين اوجّه آمالي والخطبُ جسيم. احدق بي من كل صوب وبلاء! (يقف) ايا ال بكر آل قومي أإلى هذا الحدّ بلغ بكم التحاسد والتحزّب حتى تحيزتُم وتفرقتم؟ أما كفتنا حرب البسوس؟ اما كفتنا اهوالها حتى توغرت الصدور؟ اهذه هي ثمرة تعاوننا وانتصارنا عليها؟... ولكن لا لوم على بني ضبيعة في قتلهم نويرة وقد خان. لا لوم عليهم في معاداة جسّاس. (يجلس) جسّاس اصرّ على ضلالهِ وتمادى في غيّهِ غرس الفتنة في القوم وجعل الشقاق بينهم آه

لحى الله قوماً أسعروا الحرب بيننا ... سقونا بها مُرّاً من الشرب آجنا
اذا قلتُ قد افلتُّ من شرّ تغلبٍ ... لقيت بأخرى عند بكرٍ ضغائنا
وكم مرّةٍ انذرت جساس ناصحاً ... وما دهره الّا يكون مطاعنا

(يدخل المهلهل)

المشهد الخامس

الحارث والمهلهل

المهلهل امرتَ بحلّ قيودي؟

الحارث امرتُ

المهلهل ثم ماذا؟

الحارث إنك يا عديّ قد اسرفتَ في القتل وادركت ثأرَ وائل سوى ما قتلت من ضبيعة وشيبان

المهلهل نعم. فعلت ذلك اثناء الحرب ولا عيب على من يقتل في الهيجاء اعداء حيّهِ. اما جسّاس فقد تمادى في جهالتهِ واصرّ على باطلهِ. اثار علينا وعليكم حرب البسوس بقتله اخي كليباً وائلاً. ولم يكتفِ بذلك فبعد ان تحالفنا

وعقدنا الصلح نكث العهدَ وبعث من يقتلني غدراً

الحارث انت تعلم اني انكرت ذلك عليه . . .

المهلهل ثم عمدَ الى المجرس ابن اخي واراد قتلهُ

الحارث دع عنك ايها الامير تعداد معايب جساس . حديثك الساعةَ مع امير بكر لا معهُ (سكوت هنيهة) أتريد عقد الصلح ؟

المهلهل انا اسيرك وتسألني الصلح !

الحارث اطلقتُ اسرَك وخليت سربك ان رضيت بما أُريد

المهلهل (يفكر) . . . ما هي شروطكم ؟

الحارث جساس اسيرٌ في حيكم فخلُّوا عنهُ . ثم انَّ المجرس الآن في حوزتك وقد علمَ وعلمتَ انهُ ابن اخيك فاكففهُ عن اذاتنا وانههُ عن الزحف علينا وعن طلب الثأر بابيهِ . فقد لعمري أرقتم منَّا الى الآن اضعاف دم وائل . ومن الحيين قد مضى في هذه الحروب من كان بقاؤهم خيراً لنا ولكم

المهلهل . . . انا فاعل . . . ولماً ان عادت الى عتوها لميس وعاد جساس يغدر بها وينكث كما فعلَ

فلأُوردنَّ الخيلَ ماء دياركم ولأقضينَّ بفعل ذاك ديوني
ولاقتلنَّ جحاجحاً من بكركم ولأُبكينَّ بها جفون عيونِ
حتى تظلَّ الناعماتُ بحيّكم يندبنكم بتفجُّعٍ وانينِ

الحارث لم اكن انا يا عديُّ لانكث العهد . وما زحفتُ عليكم آنفاً الّا لاستدرك هجومكم

المهلهل نعم . ولكن جساس ؟

الحارث ان عاد الى غيهِ وجنح الى الغدر سلَّمتهُ اليك واعتزلت حربهُ انا وقومي . . هلمَّ للمصافحة

المهلهل اعطيتك صفقة يميني (يتصافحان)

(يدخل جساس)

الحارث اعطيتك صفقة يميني

المشهد السادس

الحارث المهلهل جسّاس

جساس ماذا ؟ اميرُ بكر يصافح اخا وائل كليب !

الحارث جساس !... كيف خلَصتَ الى الحيّ ؟

جساس نجوتُ من تغلب...

المهلهل قل : فررتُ

جساس نجوت بسلاحي قبل ان يقتلوني وأتيت لالتقـي بالمهلهل (يتهكم) ولم يخالجني الظن انَّ اميري يصافحهُ وهو شرّ اعدائنا

المهلهل أغدرٌ فخساسةٌ ثم وقاحة ؟ مِثلكَ يا جساس تبلغُ بهِ الدناءة الى حد الفرار . واماَّ انا فسل قيساً . سل قومك . يخبروك اني ابيت الحرب وذلَّة وقد تهدّت لي سبلُهُ

جساس (الى الحارث) مهدّها لهُ قيس اللعين وما خلصتُ منهُ اليك الأ الحيةَ

المهلهل آه ! اوعبك بأسُ ابطال تغلب واوتعدت منهُ فرائصك ! فاركنت الى الفرار آه...

لو ان قومي ادركوك لوجدتهم مثل الليوث بستر غير عرين

...ولكن ما باليد حيلةٌ لماقبتك وقد صافحت الامير واخذ عليَّ العهدَ الاكيد ألا أبدأكم بالمداوة ... (غير مكترث) فان شئت فاعقد ما عقد

جساس (يتهكّم) حسبُكَ مصافحةُ الامير

الحارث لا عيب في الصلح بعد النصر

جساس (الى الحارث) تمتَّع وحدك بالصلح . واماَّ انا فلا اروم الَّا القتال

فاني قد طرِبتُ وحان مني طرادُ الخيل عارضةَ الرماح

(الى المهلهل)

واني قد جنيت عليك حرباً تُغِصُّ الشيخَ بالماء القَراحِ

تُسَعِّرُ نارها وهَجاً وجاءت اذا خمدت كنيران القصاح

وما تنفكُّ نائحةٌ تعزّي ... بما ندبت وتُعلن بالنواحِ
فما لي همَّةٌ ارجو انتهاها ... سوى الخطّيّ والفرس الوقاحِ

المهلهل (يتهكم) تفاخر تفاخر يا من لجأ الى الفرار خوفاً من بني تغلب !

لئن تكُ يا جبانُ جنيت حرباً ... تُغصُّ الشيخَ بالماء القراحِ
جمعتَ بما يديك على كُليبٍ ... فلا وكلٌ ولا رثُّ السلاحِ
ولكني الى الغلاتِ اجري ... الى الموت المحيط مع الصباحِ
واني حينَ تشتجرُ العوالي ... اعيد الرمح في اثر الجراحِ
شديدُ البأس لستُ افرُّ خوفاً ... نظيرك بل ابوء الى الرماحِ
فاجملُ من حياة الذلّ موتٌ ... وبعضُ العار لا يمحوه ماحِ

جساس آه تُوغرُ غيظي وتُشعل لهيب غضبي . يا هذا عليك بالكفّ عن التطاول والّا جعلتك في الحال جزرًا لسيفي (يده على سيفه)

المهلهل يحقُّ لنذلٍ مثلك ان ينقضَ ما عقد اميرهُ . يحقُّ لك ان تخرُق حرمة القرى وتُشهر عليّ السيف وانا ضيفكم لا اسيركم . يحقُّ لك ان تقاتلني وانا أعزلُ لا سلاح لي الّا يدي

جساس على رسلك (ينظر المهلهل الى الحارث)

الحارث (بين الاثنين) قد عيل صبري ! من انت يا جساس لتحلَّ وتربُطَ في القوم ؟ أليس في بكر اميرٌ ليعقد الصلح ويُشهر الحرب كيف شاء ؟ انا سيد بكر واميرك . تحالفتُ مع المهلهل . فما عليك الّا الطاعة وأيمُ الحق ان حللت ما عقدتُ واشهرت العداوة فلست فقط معتزلًا حربك ولكني مسلِمك الى اعدائك فقد طالما تحمّلنا جورك

جساس انت سيد ضبيعة واما شيبان فانما سيدها انا . فانضمّ اذن بقومك الى تغلبَ ونحن معاشر شيبان اكفاء لكم ولهم :

إنّا على ما كان من حادثٍ ... لم نبدأ القوم بذات العقوقْ
قد جرّبت تغلبُ ارماحنا ... بالطعن اذ جاروا وحزّ الحلوقْ
لم ينههم ذلك عن بغيهم ... يوماً ولم يعترفوا بالحقوقْ
وأسعَروا للحرب نيرانها ... للظُلم فينا باديًا والفسوقْ
أليس من اردى كليباً لمَنْ ... دون كليبٍ منكمُ بالمطيقْ
مَن شرع العدوانَ في وائلٍ ... اقترف الظُلمَ وضنكَ المضيقْ

والظلم حوضٌ ليس يُسقى بهِ ذو نِسْمَةٍ في كل امرٍ يُطيق
فان اردتم فاركبوها بما فيها من الفتنة ذات البروق

الحارث (يخفض غيظه) مهلًا يا جساس. فانَّ ضبيعة قد استدركت سُخطك وغيَّك. ساءها ما أتيت بهِ من مخادعةِ الهجرس وهو ارقُّ شيء عليها وهي عليك إلبٌ واحدٌ شئتُ انا ام ابيتُ. الحصن بيدها وقد تواطأت عليك مع ابن وائلٍ وهو شاخص الى الحيّ بكتائب تغلب

جساس الحصنُ بيدكم والهجرس مقبلٌ!... (يلتفت) ... ماذا؟... ولِمَ الحصن بنو تغلب... اليَّ اليَّ يا بني شيبان!

(يدخل الهجرس وجنودهُ)

المشهد السابع

الاشخاص انفسهم والهجرس وجنوده

الجنود عليك عليك ضبيعةُ وتغلب!

الهجرس ويلٌ لكم!

المهلهل مهلًا يا هجرس فاني عقدتُ الصلح مع امير بكر

الهجرس ... لا خوف على الحارث بن عبَّاد. هو وليّ نعمتي وقد ربَّاني وكنت منهُ مكان الابن من الاب. انا مصافح لهُ وعاقد معهُ ما عقدتَ. لكنَّ جساساً الخائن لا بُدَّ ان أريق دمهُ انتقاماً لابي

الحارث قف يا هجرس. رأس جسَّاس حرامٌ عليك

الهجرس حرامٌ عليَّ رأس جساس وهو قاتل ابي وقد دسَّ على قتلي!

الحارث قد وهبني الاميرُ (يشير الى المهلهل) دم خالك جساس (الهجرس ينظر الى المهلهل مستفيدًا)

المهلهل نعم وعلى هذا عقدنا الصلح

الهجرس (وحده) لكنَّ ذا ظلمٌ وبغيٌ (الى المهلهل) أنت اميري ووليّ نعمتي وخلفُ وائل عليّ. امرك كلَّ ساعة مطاع. حياتي أضحّي بها في طاعتك. ولكن ان حال دون الطاعةِ العدلُ وسُنَّةُ الثأر...

الحارث (يقاطعهُ) أنّى يكون الثأرُ عدلًا والعفوُ مروءةٌ وصلاح؟ كيف يكون الثأر سُنّةً من الله والله أرحمُ الراحمين

الهجرس أمّا الرحمة لمن رحم. الرحمةُ للبشر. وما جسّاسٌ الّا ضارٍ من الجلاميد قُدّ كبدهُ

جسّاس عجّل عليّ. فتصل السيف ولا نصل الهوان

الهجرس لبّيك لبّيك (يده على سيفه ويد جساس على سيفه)

المهلهل ارعوِ بُنيّ لا تنقضنّ شرط اميرك

الهجرس وعدتَ مولاي ما ليس لك ان تعد. وائلٌ ابي ودمُهُ لي. ثأرهُ إرثٌ اتخذته عنهُ. لي وحدي ان أكفّ اليد عنهُ. تريدون مصافحتي لبكر... فلتُ. تريدون مخالفتي لجساس... انا فاعل ايضاً: فورّجي ونصليه وسيفي وغرارَيه وفرسي واذنيه لا يترك الرجلُ قاتلَ ابيه وهو ينظر اليه

ان تحتَ الاحجار حزماً وعزماً وقتيلًا من الاراقم كهلا

(الى جساس)

ذهب الصلح او تردّوا كليباً او أُذيقَ الغداةَ شيبان ثكلا

ذهب الصُلح او تردّوا كليباً او تنالَ جسّاسُ هوناً وذلّا

جسّاس ذهب الصلح او تردّوا بجيراً او تذوقَ الوبالَ وردّاً وغلا

الهجرس ذهب الصلح او تردّوا كليباً او تموت جسّاسُ بالسيف قتلا

(يجرد الهجرس سيفه وكذلك جساس)

جساس قد عيل صبري. اليّ يا هجرس

الهجرس ودّع حياتك

(السلام قبل المبارزة — ضربتان — ثم يدخل جليل؟

المشهد الثامن

الاشخاص انفسهم وجليل

جليل اخي! خالي! بحقّ امي! (يقفان) رحماكَ اخي أجزِ السيفَ في عنقي قبل ان تغمده في نحر جساس اخي أمّنا جليلة. ويلاه اما كفى هذه الامّ التعيسة ما قاستهُ من اهوال الحروب وقد امضّتها حزناً ومزّقت احشاءها هلعاً على اهلها. اما سمعتها تقول:

يا أبنة الاقوامِ ان لُمتِ فلا تعجلي باللومِ حتى تسألي
فاذا انتِ تبيَّنتِ الذي يُوجب اللومَ فلومي واعذلي
ان تكن اختُ امرئٍ ليمَتْ على جزعٍ منها عليهِ فافعلي

الهجرس قد قطَّع قلبي ! (ينكس سيفه)

جليل حنَّت لانينها وحوش القفار وانت خالي لم تصغِ اليها تقول :
جلَّ عندي فعل جسَّاس فيا حسرتي عمَّا أنجلي او ينجلي
فعلُ جسَّاس على وجدي بهِ قاطعٌ ظهري ومدنٍ اجلي
(يخفض جساس سلاحه)

المهلهل نعم الولد !

الحارث قد اصلح ذات البين

(وكأنَّ كلام المهلهل والحارث اثار ثانية بعض المتحاربين فيعودان الى المبارزة فيحول جليل بينهما)

جليل اليَّ يا بني بكر ! اليَّ يا بني تغلب ! ألم تسمعوا عويل جليلة تنشدكم
لو بعينٍ فُديت عيني سوى أختها فانفقأت لم احفلِ
تحمل العينُ أذى العين كما تحملُ الامُّ اذى ما تفتلي
ليس من يبكي ليومين كمن أنَّما يبكي ليوم ينجلي
يشتفي المدركُ بالثأر وفي دركي ثأريَ ثُكل المُثكلِ
ابنهُ كان دمي فاختلبوا دررًا منهُ دمي من آكحلي
انني قاتلةٌ مقتولةٌ ولعلَّ الله ان يرتاح لي

(يرجع جليل الى الوراء — يهجم المتبارزان على بعضهما — يعود جليل فيقف بينهما)

جليل اختي ! خالي ! بحق امي !

الهجرس عفوت عنك يا جساس (يرمي سيفه)

جساس كما عفت اختي جليلة (يرمي سيفه)

(يُرخى الستار ثم يرفع للنشيد الآتي)

نشيد (في اثنائه يكون بنو بكر ذات اليمين وبنو تغلب ذات اليسار . يتصدر كل فئة منهم امراؤها . وفي القلب جليل بين الحارث وجساس من جهة والمهلهل والهجرس من اخرى وتحت قدميه سيفا المتبارزين) :

بنو بكر — قد كان بين جموعِنا ضَنَنٌ وحقدٌ في صدورِ
بنو تغلب — فتشاجروا وتضاربوا وتجاوزوا كلَّ الحدودِ
الكلُّ — واليوم اصلح بيننا ولدٌ حوى كرمَ الجدودِ
بنو تغلب — طوبى لكم يا آل بكرٍ انتمُ سعدُ السعودِ
بنو بكر — لكمُ السلام جموعَ تغلِبَ بأسُكمْ بأسُ الاسودِ
الكلّ — بشرى لنا حلَّ الهنا في ربعنا رغمَ الحسودِ

(يوحنا الستار) (تمّت)

مَصْرَع جبّار البخار

نظر للاب لويس شيخوْ اليسوعي

قال الشاعر اللاتيني هوراس: لا مراء انَّ اوَّل من حاول ان يخوض عباب المياه ويصارع تيّار البحر كان مذرَّعاً بدرعٍ مثلَّثة ليقوم في وجه مثلهِ سلطاناً مطلق الحكم واسع الملك. ولعلَّ لسان حالهِ كان يردّد بعد ركوبهِ الاهوال قول الشاعر:

لا اركب البحر اخشى عليَّ منهُ المعاطبْ
طين انا وهو ماء والطين في الماء ذائبْ

على انَّ ابن آدم جسور مقدام لا يمكنهُ ان يرى في الكون قوَّة تناصبهُ ألّا تجرَّد لمجاراتها. وكان اوَّل سلاحهِ مجذافهُ ثم ابدلهُ بالقلوع وذلَّل الارياح لخدمتهِ حتى وجد في البخار ناصرًا ظافرًا بكل العوائق مزريًا بالانواء. ومنذ ذاك الحين لم تزل الملاحة في ترقٍ متواصل سواء كان في تحسين ادواتها المحرّكة زيادةً في سرعتها او في تنظيم السفن وتجهيزها لئلّا ينقصها شيء من اسباب الراحة ثم تنمو رغبة المسافرين في ركوبها. وقد تعدَّدت الاكتشافات والمخترعات حتى صار الناس يعدُّون الاسفار البحريَّة من اشهى المتنزَّهات وانفعها ولا يكادون يبالون بأهوالها

وكانَّ في قلب البحر حزازاتٍ لا يزال يضمرها لبني البشر فيشعرهم من وقت الى آخر بحقدهِ الكامن في صدرهِ فتارةً يثور ثائرهُ فيحمل على السفن حملات الناقم المستقتل ويحطِّم اشدَّ المراكب بنيةً وتارةً يبعث الجرّتهُ فيلبّد السماء بغيوم كثيفة

فيسدّ الطريق في وجه السفن فتتعرّض لاسوإ المخاطر او يحلّق فوقها الإعصار فيديرها كما يُدار الخذروف ويطمرها في جوف المياه

وقد جاء غرق المركب تيتانك (Titanic) شاهدًا جديدًا على انّ اخطار البحر لا تزال تتهدّد الانسان حتى في ساعة يظنّ نفسهُ في مأمن من تقحّمها

وصف التيتانك

لمّا ابتنى الانكليز سنة ١٨٣٨ مركبهم غرات وسترن (Great Western) وجعلوا طوله ٦٤ مترًا استعظم الناس الامر وكثر فيه القيل والقال. الّا انّ القوم لم يعودوا يكترثون له اذ رأوا بعد خمس عشرة سنة المركب برسيا (Persia) في طول مئة متر لكنّ هذا الطول كان بعيدًا عن سفينة نوح البالغة ٣٠٠ ذراع (٢٢٥ مترًا) بل عن طول سفينة الملك بطليموس المحبّ ابيهِ (١ البالغة ٤٢٠ قدمًا (نحو ١٤٠ مترًا). وفي السنة ١٨٨٥ فاز بالسبق الفرنسويون فعمّروا سفينة شمپانيّ (Cham-pagne) وكان طولها لا يقلّ عن ١٥٠ مترًا. على انّ الانكليز رأوا ان ملك البحار اولى بهم فجهّزوا سنة ١٩٠٠ مركبهم اوشنيك (Oceanic) وطوله ٢٠٠ متر ثم اردفوهُ بسفينتَي لوزيتانيا وموريتانيا (Lusitania et Mauritania) في طول ٢٣٢ مترًا وكلتاهما لشركة كونارد (Cunard). فاخذت المنافسة شركة اخرى تدعى النجم الابيض (White Star Line) فارادت ان تغلب كل رصيفاتها فجهزت في العام المتصرم ١٩١١ سفينتين جعلتهما كملكتي البحار ودعتهما اولمپك (Olympic) وتيتانك لشارة الى قوّتهما التي كادت تماثل القوّة المنسوبة الى آلهة السماء وجبابرة الارض وجعلت طول الواحدة ٢٧٠ مترًا فكانتا على متن البحار كمدينتين عائمتين

والحقّ يقال انّ العقل يحير عندما يفكر في تركيب سُفن كهذه ودونك وصف تيتانك التي كلامنا عن غرقها وتشبهها تقريبًا سفينة اولمپك. كانت المباشرة بعمارة تيتانك منذ نحو عشر سنوات في مصانع هرلند وولف (Harland et Wolff) الرحبة الواسعة في بلفست من مدن ارلندة وتمّت كاختها اولمپك في العام الماضي

قلنا انّ طول السفينة ٢٧٠ مترًا امّا عرضها فكان ٢٩ مترًا ومحمولها ٤٦٣٢٨

١) اطلب وصفها في المشرق (١ : ٢٢١)

طنًّا بزيادة ١٣٢٨ على اوليك وكان قعر السفينة مصفَّحاً بصفائح طول بعضها ١١ متراً ووزنها ٤٥٠٠ كيلو وكان مقسماً كرقعة الشطرنج فيه الغرف المختلفة لاشغال الترتيبة تفصلها معابر ضيقة تتقاطع على خطوط مستقيمة ويُرتقى منها الى الطبقات العليا بسلالم لطيفة من حديد. وكان فوق الطبقات السفلى ثمانية سطوح يركب بعضها فوق متن البعض تبتدئ بالاسفل ثم الاوسط ثم الاعلى ثم سطح الديوان الكبير وفوقهُ سطح خدمة السفينة ثم سطح الركّاب وهذه السطوح السبعة كلها في قسم السفينة المتين ذي الجوانب الصلبة يعلوها سطحان آخران اي سطح التنزه ثم السطح المختص بالزوارق وكلاهما خفيف البنيان

وكانت في جهات السفينة خمسة عشر حاجزاً تقطعها طولًا ولكلٍّ حاجز كوىً تُقفل قفلاً محكماً اذا دخلت المياه في قلب السفينة سواء كان باليد او بأزرار كهربائية يضغطها رئيس السفينة او بعوَّامات تتحرَّك من تلقاء ذاتها عند دخول المياه

وكان سكّان (دفَّة) السفينة المتحرك بقوة الكهرباء وزنهُ ١٠٠,٠٠٠ كيلو وهو محمول على ركيزة توزن ٧٠,٠٠٠ كيلو اتّخذوا لها قالباً دخلهُ ٩٥,٠٠٠ من المعدن الذاب وتواصل الشغل اصنعها مدَّة خمسة اشهر. وكان قُطب السكّان المذكور موكّباً من الفولاذ الصلب وقطرهُ ٦٠ سنتيتراً. وكانت كل مرساة (انجر) من المراسي يبلغ وزنها ١٥,٥٠٠ كيلو ذات حلقات يوزن بعضها ٨٠ كيلو

وكان للسفينة ثلاثة رفّاسات تحرّك ادوات متناوبة يضغطها البخار بقوَّة ١٥ كيلو فيخرج بتلك القوة وينفذ في اجنحة دولاب اسطواني كأجران الناعورة فيدبرها. فاذا دارت حركت الرفّاس الاوسط الذي كان قطرهُ خمسة امتار ووزنهُ ٢٢٠٠٠ كيلو. وكان الدولاب المجنّح يدور في الدقيقة ١٦٥ دورة امَّا الادوات المتناوبة فكانت دوراتها ٧٥

وكانت الادوات المولّدة للحركة اربعاً من المحركات الكهربائيَّة (dynamos) لها غرفة خاصة فنها كانت تجري الحركة والنور لسائر انحاء السفينة. وكانت تنتصب فوق سطوحها اربعة مداخن. امَّا نفقات هذا الجبَّار البحري فكانت ثلاثة على خمسين مليوناً من الفرنكات

وكان التيتانك يستطيع ان يقلّ نحو ثلاثة آلاف وخمسمائة شخص وفيه من

الغرف والمخادع ٢٥٠٠ فينتقل ٧٣٥ من ركَّاب الدرجة الاولى و٦٧٤ من الثانية و١٦٤ يركبون احد سطوح السفينة . واذا اضفت الى ذلك نحو ٩٠٠ شخص من اصحاب السفينة ونوتيتها وخدمتها المتعددين تحققت انها كانت بلدةً مأهولة

وكان ركاب الدرجة الاولى من ذوي الثروة الطائلة ينفق الواحد منهم ٢٥٠٠٠ فرنك على سفرته البحرية . وكان خُصَّ بهم القسم الاوسط من المركب في سطوحه الخمسة العليا يصعدون اليها بالمراقي الكهربائية . وكان للركاب مائدة طولها ٣٥ متراً في عرض ٢٩ م وديوان كبير على شكلها وقاعات اخرى عديدة كالطعام وحُجر التدخين والقهاوي وغرف القراءة والكتابة والحدائق الزهرة للصيف والشتاء فيستطيع المسافر ان يقضي الساعات بينها متنقلاً في وسطها ومستمتعاً لآلاتها بين الآلات المطربة العديدة التي تتخللها

ومن المعاهد الغريبة التي جُهزت بها سفينة تيتانك حمّام تركية كبيرة يستطيع الاستحمام فيها كثيرون وفي جوارها حوض واسع يمكن السباحة فيه . وفي طبقة اخرى ملعبٌ رحب للعب الكرة وللالعاب الرياضية المتنوعة كالعَدو والسيف والترس وركوب الدرَّاجات وغير ذلك مما يطول وصفهُ

غرق السفينة

تلك كانت السفينة تيتانك اذ خرجت لسفرتها الاولى من مرفأ سوثمبتون الى نيويرك في اوائل شهر نيسان الماضي وكلُّ ركَّابها يتباشرون بالسفر الميمون ويهنّئون نفوسهم على الحظوة بمثل هذه الرحلة على اكبر سفن المعمور . وكان بين الركَّاب ١٢٠ سورياً فارقنا بعضُهم من امد قريب ولا نخالهم انهم ماشون الى حتفهم على انهم كانوا يستطيعون ان يذكروا وزءاً قريباً حلَّ بالسفينة اوليك . وكانت هي ايضاً خرجت لأول مرة تمخر البحار فصدمتها في ٢٠ ايلول الماضي دارعة هوك (Hawcke) السائرة في طريقها الّا انَّ سيرها كان اسرع من اوليك وكلتاهما على خطين متوازيين . فلمَّا قربت هوك من أُليك فصارت على مسافة مئة متر انجذبت اليها بقوة مجهولة فصدمتها في جانبها صدمة كادت تكون القاضية عليها لكنَّ اوليك أُصيبت فقط باضرار كبيرة دون ان تغرق . ولما بحث العلماء عن سبب هذا الاصطدام تبيَّنت لهم حقيقة امر كانوا لم ينتبهوا اليه سابقاً وانما ظهرت آثارهُ منذ

زمن قريب وهو « ان باخرتين اذا جارت احداهما الأُخرى فعلت فيهما اولًا القوَّة الدافعة فاذا تقرَّبت الثانية من الاولى موازيةً لها انقلبت تلك القوَّة الى قوَّة جاذبة تختلف على اختلاف وقوع الواحدة بالنسبة الى الأُخرى فتصطدمان وتكون الصدمة اخطر اذا اصاب رأس الثانية عرض الاولى فيعجبها »

وقد ارتأى البعض ان الصدمة التي حدثت بانجذاب السفينة هوك الى اوليك حدثت ايضاً بانجذاب جبل من الجليد الى تيتانك ودونك خلاصة ما جرى:

كانت تيتانك في اليوم الرابع من سفرها الموافق ليوم الاحد ١٤ نيسان فبلغت ٤١ْ٤٦َ من العرض الشمالي و٥٠ْ١٤َ من الطول الغربي وهي سائرة سيرًا سريعاً فتقطع في الساعة ٢٠ عقدة اي ٣٧ كيلومترًا ونحو ٦٠٠ متر في الدقيقة. فلما خيَّم عليها الليل وكانت السماء صافية والبحر هادياً مرّت حيث كانت تعوم فوق المياه قطعُ جليد ضخمة يدعونها جبال جليد (iceberg) تأتي من جهات الشمال عند ذوبان الثلوج وتطفو. فاذا باحد هذه الجبال الجليديَّة ظهر طافياً وكان بوسع نظَّار المركب لصفاء الجوّ ان يرقبوهُ عن بُعد لاسيَّما ان تيتانك كانت مجهَّزة بانوار كهربائيَّة قوية والظاهر انهم لم يلحظوهُ او لم يكترثوا لهُ الَّا على مسافة ٤٠٠ متر فلم يستطع الضبَّاط ان يحيدوا عن طريقها كثيرًا فوقعت الجاذبيَّة التي اشرنا اليها وانجذبت السفينة الى جبل الجليد فصدمها في بطنها حيث هي اضعف على المقاومة وشقَّها شقًّا طويلًا عريضاً نفذ ما وراء صفائح النحاس الى الخشب فكسر قسماً منهُ وفتح فيه مجرًى للمياه

ولم تكن الصدمة قويَّة حتى ان الركّاب بعد ان احسّوا بها لم يكادوا يضطربون للامر وكثيرون لم يناموا بعد اذ كانت الساعة العاشرة وربع مساء. لكنَّ السفينة لم تلبث ان وقفت وصعد بعض الركاب الى سطحها ليستعلموا عن سبب وقوفها ولم يخطر لهم على بال ان للامر شأناً او انَّ على حياتهم خطرًا وبعضهم عادوا الى العابهم وكانت في اثنائها نوبة السفينة تدقّ نغماتها المطربة

هذا ما اخبر بهِ الركاب امَّا نظَّار تيتانك الموكول اليهم تدبيرها فانَّهم بعد تلك الصدمة رأوا المياه تتفجر في اواسط السفينة حتى غمرت مواقدها فاطفأتها وكان ذلك سبب وقوفها. فعلم الربَّان بالامر وشعر بحرج الحال فاشار الى وكيل التلغراف

اللاسلكي المدعو فيلبس ان ينبئ السفن الماخرة في جوارهم بعظم الخطب فيطلب من اصحابها نجدة فانتشر الخبر انتشار البرق. وكانت الباخرة كرباثيا اقرب السفن من تيتانك فاسرعت الى اغاثتها لكنها لم تبلغ محلّ المصاب ألا بعد اربع ساعات من حلول النكبة

ثمّ تقدّم رئيس المركب الى النوتيّة بان يُعدّوا قوارب السفينة ومناطق النجاة فاخذوا في تهيئتها. فعرف وقتئذٍ الركاب ان الخطر ملمّ بهم لكنهم تجلّدوا واذ امر الربّان بان تنزل النساء والاولاد في الزوارق دون الرجال اخذ هؤلاء يساعدون النوتية بكلّ شهامة ويلبسون السيدات المناطق ويدخلونهنّ في القوارب. وقد ابت بعض تلك الكريمات ان يفترقن عن ازواجهن ليُتنَ معهم فمُتنَ شهيدات الحبّ والوفاء.

وكان الربّان وعَمَلة السفينة يتولّون تدبير نجاة الركاب بكل مروّة لكن القوارب بعد مدّة نقصت فاحتاروا في امرهم اذ لم ينجُ الّا رُبع المسافرين واكثرهم من النساء والاولاد كما سبق ونجا ايضاً بعض الرجال الذين وجدوا لهم مكاناً فارغاً. وحاول بعضهم ان يدخلوا في القوارب بالقوّة واشهروا اسلحتهم لادراك غايتهم الّا انّ اصحاب السفينة اطلقوا عليهم الرصاص فقُتلوا

ثم وزّعوا على من بقي على ظهر تيتانك ما وُجد من ادوات السباحة والمناطق وغير ذلك ممّا لم يستفد منهُ الّا بعض الافراد القليلين وكان غيرهم يتزاحمون على هذه الادوات وينتشها بعضهم من ايدي البعض املاً بالنجاة

وكانت نوبة المركب في اثناء ذلك تدقّ نغماتها لتُنهض همم الركاب وكان آخر ما سمع الناجون في القوارب من الحانها لحناً شجياً تقوياً اختارتهُ الجوقة يُدعى « اقرب منك اللهمَّ » كان بمثابة دعاء الغرقى الى الله في بلائهم

امّا الراكبون في الزوارق فانّهم سلّموا مقاليد امرهم الى النوتية ريثما تأتي الى نجاتهم احدى السفن التي استغاثوا بها. واخبر بعضهم انهم احيوا تلك الليلة في الصلاة فكانوا على اختلاف مذاهبهم يردّدون الصلاة الربيّة بكل تُقىً وخشوع دون ان يملّوا. ولا غرو فانّ الشكّ في الدين يبطل في ساعة الخطر

وقد اخبروا انّ الليلة كانت مظلمة غير مقمرة وكانت عيونهم متجهة الى السفينة

تبتاتك فيرونها في كل جلالها وعظمتها والانوار تضيء في جوانبها وطبقاتها فلا يكادون يصدقون انَّ ذلك الجبار يُصاب باذى. وبقوا كذلك نحو ساعتين يمترونها من بعيد. فلما كانت الساعة الثانية بعد نصف الليل رأوا مقدَّم المركب يتحنى بسرعة حتى صار كلُّهُ في الماء وارتفع مؤخر السفينة الى السماء فانطفأت بغتةً انوار المركب وانقلب ما في قعرها من المراجل والآلات الحديدية فدوى صوتها في الفضاء الى مسافة بعيدة وارتمت كل قارب سامعها. وبقيت السفينة كذلك ظهراً لبطن نحو خمس دقائق ثم قام ذَنَب السفينة عمودياً في الهواء على ارتفاع نحو ١٥٠ قدماً وغطس في البحر بجلبة عظيمة سُمعت ممتزجة بصخب الغرقى ثم توارت في اعماق البحر

تلك كانت خاتمة حياة سفينة ظنَّ بُناتها انها تكون شاهداً مخلداً على فتك الانسان بقوَّة الطبيعة فكفاها ثلاث ساعات حتى تبيد آثارها فتضحي نسياً منسياً قبل ان تبلغ تمام سنة حياتها الاولى

اما اهل القوارب فبقوا خمس ساعات هائمين في وجههم حتى وصلت اليهم كرباثيا فانقذتهم وحملتهم الى نيويرك. وكان بعض رفقتهم ممن لم يجدوا مكاناً في الزوارق القوا بنفوسهم في البحر يسبحون لابسين مناطق النجاة او حاملين الاطواف لكنَّ الماء المتجلّد مع وحشة الليل وانتهاك القوى قد اضعفت عزائمهم وازهقت ارواحهم فات اكثرهم قبل وصول المغيثين. وبعضهم امكنهم بعد اللتيّا والتي ان يبلغوا القوارب فركبوها لكنَّ غيرهم لم يجدوا مكاناً فبقوا يصارعون المنون وسُمع منهم مَن يشيّع الراكبين ويهديهم آخر سلام الوداع قبل ان يغوصوا في البحر فينقطع صوتهم ابد الدهر. فكان نصيب الموت في تلك الليلة ١٦٣٥ نفساً امَّا الناجون فعددهم ٧٤٥ النساء والاولاد منهم ٤٤٠ والباقون رجال منهم ملاحون وخَدَمة وضبَّاط قليلون. وكان من جملة الغرقى ربَّان السفينة سميث قبل انهُ انتحر ولم يثبت الخبر ومنهم احد مشاهير كتبة الانكليز ولم ستد منشىء مجلة المجلات الانكليزية وكثيرون من مواطنينا بينهم المأسوف عليه المرحوم الامير فارس شهاب من اهل الحدث رحمهم الله رحمةً واسعة وألهم اهاليهم الصبر الجميل

وودَّع الحياة في تلك الليلة كاهنان كاثوليكيان احدهما انكليزي من كهنة لندرة اسمهُ بَيلس (Byles) كان مبحراً الى بروكلين ليقرن اخاهُ بسرّ الزواج والآخر

بولوني من ليتوانية كان مرسلاً لخدمة اهل جلدتهِ المهاجرين الى الولايات المتّحدة. واخبرت جرائد اميركا عن بعض النوتية الناجين بالسباحة انَّ الكاهنين اذ شعرا بصدمة السفينة وتحققا الخطر اللمّ بها جمعا الكاثوليك في معبد المركب وقدّما الذبيحة الطاهرة وشدّدا عزائم الحضور بكلام مؤثر ألقياه اليهم. واذ أنزلت القوارب عرض البحريون مراراً على الكاهنين ان ينجوا بنفسهما فأبيا بكل شهامة قائلين انهما يبقيان مع اهل السفينة حتى آخر رمق. ولمّا حانت ساعة الغرق حرّضا القوم المحيطين بهم على الندامة وباركاهم البركة الاخيرة فذهبا شهيدي الكهنوت الكاثوليكي كما ذهب غيرهم شهداء الكرم والايثار

وقد جاء هذا المصاب منبّهاً لافكار كثيرين لاستدراك مخاطر السفن البحريّة. منها كما سبق معرفة ناموس الجاذبيّة الذي اشرنا اليهِ. ومنها نقصان الادوات المُنجية بالنسبة الى عدد المسافرين اذ لو كانت القوارب اكثر عدداً لنجا معظم ركاب تيتانك. وفي هذا الحادث تأكدوا افادة التلغراف اللاسلكي للاستغاثة بالسفن المجاورة لكنهم عرفوا ايضاً ان التلغراف المائي افضل الوسائل لنقل الانباء. فتسمع اشاراتهُ عن بُعد بكل جلاء ويستدلُّ بها بكل ضبط عن مقام النائبة فيسرع السامعون الى اغاثة الملهوفين

ويا ليت هذا الرزء الاليم يزيد الناس تجرُّداً عن الدنيا الزائلة وثقةً بالواحد الصمد الذي في حكمهِ الموت والحياة والذي يضرب ليشفي ويُميت ليحيي

العقائد الوثنية في الديانة النصرانيّة

انتقاد للاب لويس شيخو اليسوعي

هذا الكتاب الذي اشرنا اليه في عددنا السابق وقلنا اننا نبدي فيهِ رأينا اذا ما وقفنا عليهِ. فاليوم وقد حصلنا على نسخة بل نسختين وثلاث منهُ وقد رآه غيرنا في ايدي القرَّاء المسلمين لم يَعد يجوز لنا ان نسكت عنهُ. وهو تأليف متوسط القطع لم يُذكر مكان طبعهِ (لكنهُ مطبوع في بيروت في مطبعة الاتحاد العثماني) وسنة طبعهِ ١٣٣٠ هجرية يبلغ عدد صفحاتهِ ٢٠٠ ومؤلفهُ محمد طاهر التنير

يقول المثل الفرنسوي ليس كل ما يلمع ذهباً . ويشبهُ قول العرب ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة . فربَّما انخدع ناظر الصُفْر فظنَّهُ ذهباً وربَّما رأى الصياد صدفةً فظنَّها سمكة . ومثل هذا جرى لمؤلف الكتاب الذي صدَّرنا مقالتنا بعنوانهِ فانَّهُ أطلع على بعض كتب انكليزيَّة لكتبة اباحيّين او ملحدين عارضوا العقائد النصرانيَّة ببعض خرافات الوثنيين فزعموا ان النصرانيَّة استمدَّت معتقداتها منهم . وهو زعم غريب يكفي النظر فيهِ مليًّا ليظهر كذبهُ في اعين العميان فما ظنُّك بذوي البصائر فهذه الخزعبلات والسفاسف عرَّبها محمَّد طاهر التنير لحسبانهِ انهُ وجد منجنيقاً يرمي بهِ سور الدين المسيحي وانَّما شُبِّه عليه فقط لجار سهمهُ كغيرهِ . ولو شاء لاتيناه بكثير من هذه الخرافات الوثنيَّة لم يعرفها وسبق الى ذكرها كثير من اعداء النصرانيَّة فلم تُفدهم ذرَّة لِما ارادوا بيانهُ . فيا لله ولو سلَّمنا لمحمَّد طاهر التنير انهُ وُجدت عند بعض الامم الوثنية آثار التثليث وفداء البشر من الخطيئة وتجسد الاله وولادته من عذراء بتول وازالة الخطيئة بالعماد أفذلك دليل على انَّ النصرانيَّة اخذت هذه المعتقدات من امم غريبة ؟ افيجوز القول بانَّ موسى نبيٌّ كاذب لوجود انبياء كذبة او لكون بعض شرائعهِ قد وُجدت في الدستور المنسوب الى حمورابي ؟ ولكن هيهات ان نسلِّم لهُ بانَّ النصارى اخذوا شيئاً من عقائدهم عن الوثنيين اذ تبعُد المعتقدات المسيحيَّة عن ترَّهات الوثنيين مناط الثريَّا . فاين سرُّ الثالوث الاقدس من التثليث النجس الذي قال بهِ بعض الهنود والبابليين ؟ واين تجسد الاله الكلمة من تجسد بعض آلهة الوثنيين ؟ واين حَبَل كرشنا الهندي الخرافي من صلب السيد المسيح المشهود لهُ من اعداء الدين المسيحي نفسهم ؟ واين تلك العذارى والذات الآلهة الوثنيَّة من والدة الربِّ الاله مريم العذراء التي يعظِّم الاسلام حبَلها الطاهر . . . واين . . واين . . فايمُ الحقِّ ما كنَّا لنظنَّ انَّ الجهل المطبَق يؤدي بكاتب الى طبع مثل هذه الاقوال الصبيانية كأنَّ النصارى ليس في ايديهم اناجيل صادقة اثبتَ في العام الماضي حضرة الاب انطون رباط صدقها وقدمها وسلامتها من كل تحريف منذ عهد الحواريين ولم يقم كاتب واحد ينفي من اقوالهِ حرفاً . وكأنَّهم لم يجدوا في هذه الاناجيل اصل معتقداتهم حتى احتاجوا الى ان يطوفوا اقاصي العالم ويستعيروها من الامم الهمجية . او كأنَّهم لا يستطيعون ان يثبتوا تعاليمهم بالنبوات الصريحة التي تسلسلت من عهد

موسى الى التاريخ الميلادي وفيها تعددت كل تفاصيل حياة السيد المسيح منذ مولده الى صعوده الى السماء. وكأن ذلك المسيح كان كبوذا الهندي عاش خاملاً مجهولاً في البراري ولم يشهد لاعماله الوف من الناس في فلسطين وبلاد الجليل وسواحل الشام وعبر الاردن بل شهد له المؤرخون المعاصرون غير النصارى كيوسيفوس اليهودي وتاكيتوس الوثني. وكأن ملايين من اعقل البشر واعرفهم بالعلوم وافضلهم بالسيرة امكنهم ان يرضوا بعض خرافات لا يُعلَم مَنْ قالها ومتى قالها واين قالها فضحّوا لاجل ذلك حياتهم بين اشدّ العذابات وماتوا كجانين لاجل دين كان اعمى ناويهم واقعدهم رشدهم. وقد قام محمّد افندي التنير ليغير عقولهم وهو ابن يومه لا يعرف من التواريخ والعلوم الدينيّة شيئاً فيبثّ بين اهل الوطن آراء نقلها عن قوم زنادقة بلا ميزة ولا رويّة ويمسّ احساسات طوائف شتّى تعتبر دينها كأثمن كنوزها

وها نحن نفند هذه المزاعم فصلاً فصلاً ليعرف الجميع من نصارى ومسلمين انّ المؤلف ضرب على حديد بارد فلم تجده نفعاً اهانتهُ لديننا الثابت الى الابد

جواب اجمالي

١ انّ من اراد ان يجادل في الاديان او يقصد المقابلة بينها لبيان صحتها او كذبها لا بدَّ له من معرفة تلك الاديان التي يتكلّم عنها والّا خبط خبط عشواء. ونحن نعلم ان مؤلف كتاب « العقائد الوثنيَّة في الديانة النصرانية » لا يعرف لا الديانة النصرانية ولا الديانات الوثنية فاتقرّف في جانب الحق ذنبين

امَّا كونهُ لا يعرف الديانة النصرانيـة فهو ظاهر من كل صفحة من صفحات كتابه اذ يخلط الكاتب بين المعتقدات الجوهريَّة التي لا يجحدها احد الّا تبرّأت منهُ النصرانية والآراء التي يذهب اليها بعض الافراد ولم تحدّها الكنيسة. وكذلك شطَّ في العقائد الجوهريَّة فتراه يعرضها ممزوجة بامور دقيقة تطمس حقيقتها الاصلية او يصفها وصفاً مخلّاً يخرجها عن صحتها او يكتفي بقشرتها دون ادراك معانيها كذكرهِ لسرّ العماد (في الفصل السادس عشر) ومعارضته بعماد الوثنيين. ثم تجدهُ في ذكره النصرانية ينقل عن كتب ملحدين وبروتستانت وزنادقة ويحلّ اقوالهم محلّ التآليف المسيحية المبنيـة على اثبت الحجج واقوى البراهين. فيشبه بذلك من اراد تعريف

الاسلام استناداً الى الشيع التي ظهرت فيه والى مزاعم الخوارج

واما كونهُ لا يعرف الديانات الوثنيَّة فهو أظهر وأبين لانَّ علم هذه الديانات بحرٌ لا تُعرف سواحلهُ فانَّ الديانات اليونانية والهنديَّة والصينية والبابلية والفينيقية ليست كالديانة المسيحية التي لها تعاليم يجمع في صفحات قليلة معتقد مؤمنيها في كل البلاد والازمنة بل هي مجموع خرافات واساطير خيالية تختلف اختلافاً كبيراً من بلاد الى أخرى بل من مدينة الى مدينة كما تختلف في بلد واحد من زمن الى آخر. فلا تجد كاتبين من قدماء الكتبة يتفقان على تعريف تلك المذاهب وشرح اصولها وتقاسيمها وتاريخ آلهتها حتى ان الخطيب الروماني شيشرون كان يتعجب كيف ان كهنة الاوثان لم يستغربوا ضحكاً من دينهم اذا التقوا ببعضهم. وهذا الاختلاف العظيم لا يزال يشوش علماء زماننا في وصف الاديان القديمة فيثبت الواحد ما يسلبهُ الآخر كما ترى في المجلدات الضخمة والمجلات التي تبحث عن تلك المذاهب وفي مكتبتنا الشرقية منها المئات العديدة بينها خصوصاً معاجم الآثار اليونانية والرومانية الطوَّلة التي يحرّرها اكبر علماء العصر فلو راجعها محمد طاهر التنير لاستحى من تأليفه في العقائد الوثنية وهو لا يعرف الّا بعض الكتب الانكليزيَّة البروتستانية الصنفة تفكهةً للعموم

٢ وأتى صاحب العقائد الوثنيَّة في الديانة النصرانيَّة شططاً آخر وهو انَّهُ لم يحسن وجه المقابلة بين النصرانيَّة والوثنيَّة فلو اراد ان يثبت زعمهُ بان النصارى اخذوا عقائدهم عن الوثنيين لوجب عليه ان يبين ليس فقط بعض التشابه في المعتقدات ولكن ايضاً انَّ العقيدة الوثنيَّة سبقت العقيدة النصرانيَّة ليستدلَّ بذلك على انَّ هذه منقولة عن تلك. ولكن هيهات ان يستطيع محمد التنير ان يبين الامر لانَّنا يمكنًا ان نتتبع سلسلة كل حقيقة من حقائق الدين المسيحي بالتواصل جيلاً بعد جيل حتى نبلغ زمن رسل المسيح دون انقطاع البتة. امَّا مزاعم اهل الهند والصين والامم الهمجيَّة التي استشهد بها صاحب العقائد الوثنيَّة فانَّها وردت في كتب الهنود والبوذيين وغيرهم عدَّة اجيال بعد النصرانيَّة الفليس الاحرى بان يقال كما يقرّ اليوم عدد وافر من العلماء بانَّ اصحاب هذه الكتب دوَّنوا في تآليفهم ما سمعوهُ من دعاة النصرانيَّة. وزاد هذا القول تأييداً ما وُجد في العشر السنوات الاخيرة من

آثار تركستان الصينيَّة حيث وقفوا على مآثر لنصارى السريان والنساطرة في تلك البلاد منذ ١٤٠٠ سنة ونزيد

٣ ولو صحَّ قول محمد الشير انَّ بعض هذه الاقوال الوثنيَّة سبقت التاريخ النصراني ايجوز له القول بان المسيحيين اخذوا عقائدهم عن مزاعم الوثنيين. فنسأله ان يفيدنا مَنْ ومَتى وأَيْن وكيف نقل النصارى حقائق ايمانهم عن الامم الغريبة فأشاعوها في اقاصي العالم دون ان يقوم احد ويعنّفهم لسرقتهم معتقدات غيرهم ونسبتها الى مسيحهم ? بل ترى اليوم دعاة النصرانيَّة في الصين والهند ويابان وجزائر البحر المجهولة ولا احد من كهنة اوثان تلك البلاد وعلمائها يدَّعي بانَّ النصارى اختلسوا تعاليمهم من اجدادهم. وهل يكفي ان يكون بعض الشبه بين شيئين ليقال ان الواحد فرعٌ من الآخر. فاذا يقول محمد الشير لو زعم الزاعم ان الاسلام اخذ عقيدة توحيد الله عن اهل جزيرة مدغسكار او جنوبي افريقية لانَّ توحيد الله كان قديمًا شائعًا عند قبائل تلك البلاد

٤ وزد عليه ان المؤرخين على اختلاف بلادهم وازمنتهم ومذاهبهم من يونان وروماني وسريان وعرب يتفقون بلا استثناء في وصف انتشار النصرانية مباشرة من فلسطين حيث السيد المسيح ولد وبشَّر ومات وقام ومنها الى الاقطار المجاورة ثم الاقطار البعيدة فكيف استطاع رسل المسيح ان يستعيروا اقوال اهل الهند والاصقاع الواقعة في الشرق الاقصى وهم « لم يعرفوا غير المسيح واياه مصلوبًا » كما قال بولس الرسول وخرجوا بامر سيدهم الى انحاء المعمور ليبشروا بالحقائق التي علَّمهم اياها ويدعوا كل الشعوب ويعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس ويصطنعوا الآيات التي صنعها واعظم منها ايضًا . اهؤلاء كانوا مختلسين لخرافات الوثنيين واعتصموا بها حتى قاسوا لاجلها كل العذابات وماتوا بفرح للدفاع عنها ?

٥ ويا ليت محمد الشير قابل بين النصرانية ودين واحد من الاديان الوثنية لامكنَّا ان نثبت نوعًا حجته لكنهُ اخذ نُتفًا من كل اديان العالم فركبها ليُظهر شبهها بالنصرانية فجاء هذا المجموع كتقليد صناعي ميت لهيكل الانسان الحي او بالحري كذلك الوحش الوهمي الذي وصفهُ الشاعر فزعم انَّ جسمهُ يتألَّف من مجموع اعضاء الحيوانات كرأس انسان وصدر سبع وجناحي طائر وذنب سمك

٦ ولا تظنَّ انَّ الفتى محمد التنير راجع الكتب التي دوَّن اسماءها في اوَّل كتابهِ وانَّما نقل تلك الاسماء عن كتب قليلة وردت فيها شواهد تآليف شتى ليوهم القرَّاء ان لديهِ مكتبةً واسعةً في علم الاديان والدليل على ذلك انَّهُ لم يُحسن كتابة عَناوين الكتب ومسخ اسماء مؤلّفيها «كدوبيس ودنلاب» وقد لحظنا في جدولهِ فوق الثلثين غلطة. وبعض هذه الكتب من التآليف التي عتقت فاكل عليها الدهر وشرب فلم يأخذ عنها الّا من كانت بضاعتهُ زهيدة جدًّا. ومنها ما هو لكتبة معادين للدين المسيحي المعروفين بتطرُّفهم ممَّن صوَّروا الاديان الوثنيَّة لا على حقيقتها بل على اهوائهم ليبخسوا بذلك شأن الدين المسيحي الشريف فالاستشهاد باقوالهم ... الكاتب فضلًا عن ان يثبتها. فاشبه التنير بعملهِ حاطب الليل وخالط البعرة بالتمرة

٧ واعلم انه في كتاب محمَّد طاهر التنير تصاوير آلهة وثنيَّـة سمجة قبيحة رسمها هناك رجاء ان يُقنع القرَّاء بحججهِ الواهنة. وهذه الصور خياليَّـة كاذبة في الغالب ما عدا صورة السيد المسيح وموسى النبي وكنفوشيوس وزوروستر (كذا ولو درى لقال زردشت). فانَّ صورة كرشنا المصلوب والثالوث الهندي ووالدات الالهة وما شاكلها امَّا مخترعات حديثة وامَّا تصاوير لخرافات وثنية ليس بينها وبين النصرانية ادنى علاقة كما سترى. ومنها ما هو بذيٌّ يندى لنظرهِ الجبين خجلًا فلا نعلم كيف لم يستحي بنشرهِ مع خلاعتهِ ومسّهِ للآداب

هذا جواب اجمالي يكفي لنقض مزاعم كتاب العقائد الوثنيـة لكننا احببنا ان نستقري اخصّ فصولهُ لنبين لمؤلفهِ انهُ اخطأ الحفرة

١ عقيدة الثالوث

نبتدئ بهذه العقيدة التي افتتح بها محمَّد طاهر التنير طعنهُ بالنصرانية

قال بطرس الرسول في رسالتهِ الثانية (١: ١٤) يخاطب النصارى الاوَّلين: «انَّا لم نتبَّع خرافات مصنَّعة اذ اعلمناكم قوَّة ربّنا يسوع المسيح ومجيئهُ بل كنَّا معاينين جلالهُ لانهُ اخذ من الله الآب الكرامة والمجد اذ جاءهُ من المجد الفخيم صوت يقول: هذا هو ابني الحبيب الذي بهِ سُررتُ. وقد سمعنا نحن هذا الصوت الذي جاء من السماء حين كنَّا معهُ في الجبل المقدَّس. وعندنا اثبتُ من ذلك وهو

كلام الانبياء الذي تحسنون اذا اصغيتم اليه كانهُ مصباح يضيء في مكان مُظلم الى ان ينفجر النهار ...»

هذا كلام موجز قالهُ احد شهود حياة السيد المسيح العيانيين وادناهم الى شخصهِ الكريم وهو مما يجوز تكريرهُ في كل عقيدة من دستور الايمان عموماً وعقيدة التثليث خصوصاً فان رسل المسيح الذين تربوا في اليهوديَّة وكانوا من عامتها بل من الاميّين ما كانوا ليخترعوا عقيدة كهذه تفوق ادراك البشر لو لم يسمعوها من السيد المسيح ليس مرّة واحدة او مرّتين ولكن دفعات متعدّدة لا تُحصى فأثبتوها في الاناجيل المقدَّسة وفي رسائلهم التالية بنصوص صريحة لا يمكن تأويلها على طريقة مغايرة لتعليم الكنيسة الكاثوليكيَّة. فمن أراد ان ينقض تعليمنا في الثالوث الاقدس قضي عليهِ ان يفعل ببيان احد هذه الامور الثلاثة: امَّا ان الاناجيل وكتب العهد الجديد ليست من تأليف رسل المسيح وتلاميذه الحواريين. واما ان التعاليم المرويَّة هناك عن الثالوث الاقدس وبقيَّة اسرار الديانة المسيحيَّة قد دُسَّت فيها بفعل بعض المزوّرين. واما ان المسيحيين لم يفهموا اقوال الحواريين فحملوها على غير معناها

هذه ثلاثة امور اذا بيَّنَّا بطلانها بطل معها زعم محمّد التنير وامثالهِ بانَّ النصارى اخذوا عقيدة التثليث وبقية العقائد عن الوثنيين

فالزعم الاوَّل الذاهب الى انَّ الاناجيل ورسائل العهد الجديد ليست لرسل المسيح باطل كما اثبتهُ المشرق سابقاً في المقالة الموسَّعة التي نشرها حضرة الاب انطون رباط حيث بيَّن بالادلة العقليَّة والنقليَّة انَّ الانجيل الشريف هو حقًّا للاربعة الكتبة الذين هو معنون باسمائهم وقد تتبَّع الامر جيلاً بعد جيل الى القرن الثاني بل اواخر الاوَّل للميلاد راوياً لشواهد الكتبة الذين عاشوا في القرون الاولى للمسيح وذاكرًا للآيات المتعدّدة التي نقلوها عن الاناجيل القانونيَّة حتى لو فُقد الانجيل الشريف لامكن جمعهُ من هذه المرويَّات. ويُضاف الى ذلك ادلَّة أُخرى كشواهد كنائس الشرق والغرب وكالآثار الفنيَّة من عاديَّات وتصاوير ومصنوعات صناعيَّة هي كاناجيل حيَّة كانت مطمورة في قلب الارض في دياميس رومية او مَزوية في المكاتب والمتاحف ودور الحاكمة ولاسيا المخطوطات الانجيليَّة الراقية الى القرن الرابع بحيث يجوز القول ان من ينكر الاناجيل القانونيَّة هو جاهل مركَّب وغبيّ لا يستحق ان يباحثهُ عاقل

وعالم. وما يقال عن الاناجيل يحق قوله عن بقيَّة كتب العهد الجديد كسفر اعمال الرسل ورسائل الحواريين كما اثبتهُ العلماء. (راجع الصفحة ٢١)

ومثلهُ الزعم الثاني القائل بفساد الاناجيل وتزويرها فان الشرق خصٌ صفحات واسعة لدحضهِ دحضاً علمياً ولم يتصدَّ لحاجتهِ احد مقيساً عليهِ التكير في شيءٍ من براهينهِ فلا يمكن عاقلاً ان يثبت انَّ عقيدة من عقائد الايمان المسيحي دُسَّت في الاناجيل او في كتب الرسل ولو اتى واحد بشيءٍ من ذلك قام الالوف في وجههِ وافحموهُ بالبرهان وبيّنوا انَّ تلك العقيدة مذكورة في اقدم المخطوطات الانجيلية وفي تآليف اقرب الكتبة من عهد الرسل حتى اواخر القرن الاوَّل للميلاد واوائل الثاني وذلك في لغات شتّى كاليونانيَّة واللاتينيَّة والسريانيَّة

فيبقى للمعترض الوجه الثالث انَّ ما دوَّنهُ رسل السيد المسيح في الاناجيل المقدَّسة وبقيَّة اسفارهم لم يفهمهُ النصارى فحملوا كلام السيد المسيح على غير معناهُ الصحيح

لكنَّ هذا الوجه من القول لم يُفِد المعترض ذرَّةً لان كلام السيد المسيح وكلام رُسلهِ الاطهار اضوأ من النور لا سبيل الى تأويلهِ البتَّة الَّا كما يؤوّلهُ النصارى في اربعة خوافق المعمور. ولانَّ مدار كلامنا هنا عن الثالوث الاقدس فلننقلنَّ بعض آيات الانجيل الشريف واقوال الرسل ليرى كل ذي عينين ان النصارى لم يتمسكوا بشيءٍ الَّا ما اخذوه عن الوحي الالهي

مرجع تعليم النصارى في الثالوث الاقدس الى انَّ الله عز وجل الواحد الصَّمد ذا الجلال والكمال والجوهر الفرد الذي لا يمكن تقسيمهُ او تجزئتهُ البتَّة هو الهٌ عاقل يعرف حقيقة ذاتهِ الالهيَّة منذ الابد ويعرفها معرفةً تامة لا تَخلُّ في شيءٍ عن جوهرهِ بفيض على تلك الصورة بمجموع كمالاتهِ كأنَّهُ هي وكأنَّها هو. تلك الكلمة الازليَّة القائمة بذاتها التي لا تقع تحت قول كَيْفَ. ولأنّها صادرة عنهُ متولدة منهُ عقلاً دون حركة ولا زمان ولا مكان باقية فيهِ بلا انفصال دعوناها كلمةً ودعوناهُ أباً كما ندعو معقول عقلنا الذي يتجهُ ذهننا ابن فكرنا او كلمتهُ. وهذه الكلمة تلفظها شفاهنا دون ان تفارق عقلنا وانَّما كلمتنا عرَض وليس في الله تعالى عرضٌ فلا بدَّ من القول ان كلمة الله اله كمصدرها. ولمَّا كان الابن يشبه الآب وهو صورتهُ الجوهريَّة

وجب ان تكون علاقة بين الآب وكلمتهِ فيحبّ الآب صورتهُ وتنجذب الصورة الى مُولدها . وهذه العلاقة ليست عرضاً بل جوهراً ايضاً وهو الروح القدس الحب المتبادل بين الآب وابنهِ المنبثق من كليهما

هذا ما يعلّمنا الايمان المسيحي وليس شيء من دقائق ذلك التعليم الّا مسطر في الاناجيل الاربعة القانونيّة وبقيّة اسفار الكتب المقدّسة فليفتح المعترض اوّل انجيل يوحنّا حيث يهتف التلميذ الحبيب قائلاً : « في البدء كان الكلمة وكان الكلمة عند الله . والله كان الكلمة . . . وبهِ قد كُوّن كلّ شيء . . . والكلمة صار جسداً وحلّ فينا » فاي كتاب بابلي او هندي او يوناني او عربي قال كلاماً كهذا يسحر بسموّهِ ألباب كل العلماء

ويوحنّا هو الناقل كلام المسيح : « انا نور العالم . . . انا الطريق والحقّ والحياة » وقولهُ « من يأكل جسدي ويشرب دمي فلهُ الحياة الابديّة واقيمهُ في اليوم الاخير » وقولهُ : « قبل ان يكون ابراهيم انا كائن » وقولهُ : « انّ الآب فيّ وانا في الآب » وقولهُ : « من رآني رأى الآب » وقولهُ : « انا والآب واحد » وقولهُ عن الروح القدس « اني ارسل اليكم من عند الآب روح الحقّ . . فهو يرشدكم الى جميع الحقّ لانهُ لا يتكلّم من عندهِ . . . هو يمجدني لانهُ يأخذ ممّا لي ويخبركم . جميع ما للاب فهو لي فمن اجل هذا قلت لكم انّهُ يأخذ ممّا لي ويخبركم » . افيوجد كلام اصرح من هذا في وحدانيّة الله وتثليث اقانيمهِ فليقلّب التنير كل كتب العلماء من اوّل العالم الى اليوم فان وجد في واحد منها كلاماً كهذا صادقنا على قولهِ بانّ الدين المسيحي اخذ عقائدهُ عن الوثنيين . فان كلام يوحنّا الانجيلي يقضي باحد امرين امّا ان يقال انّ المسيح اكبر مجدّف وُجد في العالم بل اكبر المجانين وحاشا جلالهُ ان يُحكم عليهِ بذلك وامّا يُقال انهُ إله حقّاً كما تشهد عليهِ اعمالهُ التي فعلها ليثبت لاهوتهُ واقرّ بها اعداء النصرانية فضلاً عن تبعتها

وليست اناجيل متى ومرقس ولوقا مخالفة لانجيل يوحنّا ففيها يطوّب المسيح بطرس المعترف بكونهِ ابن الله الحيّ وفيها يصرّح بانّ الابن وحدهُ يعرف الاب كما انّ الاب وحده يعرف الابن . وفيها يشهد السيد المسيح امام قُضاة اليهود ومجمعهم الاعظم بأنهُ هو المسيح ابن الله مع علمهِ بانّ اقرارهُ سيفضي الى الحكم

بوتهِ. وفيها يقول الربّ لتلاميذهِ : « اذهبوا وتلمذوا كل الامم معمّدين أياهم باسم الآب والابن والروح القدس . . . وها انا معكم الى منتهى الدهر »

فليأتنا النتير بقيراط من هذه الاقوال لايّ إلهٍ كان من آلهة الوثنيّة الرجسة النجسة. فمهما روى الناس عنها من الاكاذيب لم يبلغ بهم الهوس الى ان ينسبوا اليها ما رواهُ رُسل المسيح عن سيدهم. وليست الاناجيل وحدها تروي ذلك بل ترى مثلها في اسفار العهد الجديد كلها كسفر اعمال الرسل ورسائل الحواريين لبطرس وبولس ويعقوب ويهوذا ويوحنا. فهي توافق لاقوال الاناجيل الموافقة التامّة في عقيدة التثليث وبقيّة العقائد النصرانيّة. ففيها ورد قول بطرس لليهود « [illegible] والصديق . . . وقتلتم مبدي الحياة . . . وقد عيّنهُ الله ديّاناً للاحياء والاموات » .

وفيها يقول بولس : « انّ الله انشأ الدهور بابنهِ المسيح وهو ضياء مجده وصورة جوهرهِ وضابط الجميع بكلمة قوّتهِ . . . والله وحدهُ قال منذ البدء : انت ابني وانا اليوم ولدتُك كما ورد في مزامير داود » . وفيها ايضاً يقول يوحنا عن لسان المسيح في سفر الرؤيا : « انا الالف والياء البداءة والنهاية الاوّل والآخر » . ومثلهُ ما رواهُ النتير عن رسالة يوحنا الاولى (٥ : ٧) في الاله الواحد والاقانيم الثلثة

فهذا بعضٌ من عدّ وقطرٌ من وبل لا نزيد الاطالة فيهِ فراراً من سأم القرّاء . وتؤيّدهُ شواهد كتبة الكنيسة منذ عهد تلامذة الرُّسل كهرماس في كتاب الراعي وبرنابا في رسائلهِ واغناطيوس الانطاكي في مكاتباتهِ الى الكنائس واقليميس في رسالتيهِ الى اهل قورنتية . وإن تتبعتَ الكتبة الذين تلوهم وجدت يوستينوس الشهيد وايريناوس وبوليقربوس في القرن الثاني للمسيح ثم ترتليانوس وقبريانوس واوسابيوس في القرن الثالث وكتاباتهم كلها لدينا لا تشذّ تعاليمهم في شيء عن تعاليم الاناجيل واقوال الرسل في الثالوث الاقدس وبقيّة العقائد

ومثلها اقوال المجامع التي عُقدت في الاجيال الاولى مباشرةً بمجمع الرسل في اورشليم الى المجمع النيقاوي الكبير في عهد قسطنطين حيث حُرم كل من ينكر شيئاً من تعاليم الكنيسة وعقائد الوحي في الثالوث الاقدس ولاهوت المسيح

يُضاف اليها التصاوير العجيبة التي وجدت في دياميس رومية مع الآثار العديدة

في جهات الاناضول وغالية وسوريّة ومصر تثبت العقائد ذاتها دون اختلاف البتة

ولا يقولنَّ القائل انَّ في تعليم النصارى سرًّا لا يدركهُ العقل. اجبنا أنَّنا نقرّ بالسرّ ولا عجب ان يعجز عقلنا عن ادراك اسرار الوحي وهو عاجز عن ادراك اسرار الطبيعة وغاية ما ينبغي على المؤمن ان يتأكد وقوع الوحي فيذعن لله الموحي به

هذه خلاصة تعليم النصارى في التثليث وليست غايتنا ان نتّسع في الامر ومن اراد زيادة ايضاح فليراجع المقالات النفيسة التي نشرها المشرق سابقاً عن بولس الراهب اسقف صيدا، ويحيى بن عدي وعبد يشوع الصوباوي وايليّا مطران نصيبين وجمعت في كتابٍ واحد تحت عنوان « مقالات دينيّة قديمة »

*

فلنفحصنَّ الآن ما اتى بهِ محمّد التيو ليؤيد زعمهُ بانَّ عقيدة التثليث عند النصارى مأخوذة عن التثليث عند الوثنيين وقد جمع في كتابهِ في ١٦ صفحة كل ما وجدهُ في كتبِ الانكليزيّة عن الآلهة المثلثة (Triades) والثالوثات فنقل سطرين او ثلثة من هنا وهنا فالقاها في كشكولهِ كما يفعل المكدّي ليسدَّ جوعهُ. فاخذ عن اقاصيص اليونان وخرافات الهنود واساطير المصريين ومزاعم الفرس والرومان وجمعها في قصعةٍ فخرجت منها « مخلوطة » تَفِهة لا يبلعها الاّ من اعتادت معدتهُ الاكل القذرة

اذا ما درسنا كل ما ورد في كتب قدماء الشعوب ونقلهُ عنهم العلماء الاثبات بخصوص آلهة الوثنيين المثلثة وثالوثاتهم المتعدّدة النجسة ثم قابلناها بذلك الثالوث العظيم الذي لا يحقّ لبشر ان يتكلم عنهُ الاّ بكل تحفُّظ ووقار بعد تطهير شفاههِ بجمرة نار كاشعيا النبي (٦:٦) وجدنا انَّ وجوه الاختلاف بين توهُّمات الوثنيين والسرّ المسيحي الجليل لا تكاد تحصى والفرق بينهما كالفرق بين السماء والارض فلا تجد اتفاقاً لا في اصل المعتقدين ولا في حقيقتهما ولا في ثباتهما ولا في معناهما ولا في انتشارهما

١ ﴿ اصل المعتقدين ﴾ رأيت انَّ المعتقد النصارى في الثالوث الاقدس مبنيّ كلهُ على اقوال الانجيل الطاهر والاسفار التي كتبها تلاميذ المسيح ممّا لا ينكر صحتهُ الاّ الجهّال. لا بل نجد في اسفار العهد العتيق اشارات متعدّدة الى هذا السرّ حتى في اقدم سفر كُتب بيد انسان اعني سفر التكوين لموسى النبي وذلك في تاريخ

الخليقة حيث يُخبِر بانّ الله برأ بكلمتهِ الكائنات واحياها بروحهِ المُرفّة على وجه المياه ثم في تاريخ خلقة الانسان حيث استشار الله نفسهُ بقولهِ « فلنصنعنّ الانسان على صورتنا » وقولهِ : « هوذا آدم كواحد منّا » . وفي تاريخ ابراهيم الخليل حيث ترآى لهُ الربّ على صورة ثلثة اشخاص « فرأى ثلثة وسجد لواحد » كما لحظ قدماء الآباء.

امّا معتقد الوثنيين في ثالوثاتهم فلا يعلم احد اصلهُ فتجد في بعض الآثار ذكر ثلثة آلهة « كمُّون وراع وفتاح » عند المصريين « وانو وبيل وهيا » عند البابليين و « برهما وفشنو وسيفا » عند الهنود بل تعدّدت الثالوثات في الأمّة الواحدة كما سترى. غير انّ هذه الثالوثات المركّبة من آلهة مختلفة أنّما جمّعها العلماء المحدثون غاية [illegible] ويجدوها في الآثار القديمة كاله واحد في ثلاثة اقانيم بل تسهيلًا لدروسهم واستدلالًا على ما يوجد من التقارب في الخواصّ بين بعض اولئك آلهة الزور البالغ عددهم في كل أمّة المئين والالوف او اشارةً الى انساب اولئك الاصنام كما تصوّرهُ كل شعب من الشعوب

٢ ﴿ حقيقة المعتقدَين ﴾ هي مختلفة اختلافاً جوهريّاً . فانّ الثالوث الاقدس عند النصارى كلّهُ طاهر عقلي اهلٌ لجلالهِ تعالى لا يبخس من وحدانيتهِ وكمالاتهِ الالهيّة شيئاً . امّا الثالوثات الوثنيّة فهي نحِلة جسديّة تذلّل العزّة الالهية وتنفي كل كمالاته تعالى . فانّ الوثنيين اذ رأوا العالم واستدلّوا بالمعلول على العلّة تصوّروا الله في صورة البشر واذ رأوا ان اساس العائلة البشريّة في ثلثة اي رجل وامرأة وولد جعلوا في السماء مثل ذلك في بدء تكوين العالم فاتّخذوا في الغالب ثالوثات تتركب من إله ذكر وإلهة انثى اولدا بالتناسل ابناً وهو الاله الثالث . واعطوا الاله الأوّل ملك السماء وللإلهة ملك الارض ولولدهما ملك الجحيم وهم يسمون الاله « أبا الآلهة » والإلهة « امّ الآلهة » كعشتروت عند الفنيقيين وكيبال عند الرومان ونين خرساغ عند البابليين وايزيس عند المصريين . وكان للبابليين والعرب وللأمم الصابئيّة ثالوث آخر مركّب من نيّرات السماء اعني الإله او الإلهة « شمس » ثم الاله « سين » اي القمر ثم كوكب الصبح اي الزهرة وكثيراً ما كانوا يتخذون ثالوثين ثالوثاً ذكراً بازائهِ ثالوث انثى

امّا بُعد هذه الثالوثات عن الكمالات الالهيّة فيظهر من خواصها لأنّها كلها آلهة ماديّة تتوالد بالتناسل وتتنازع السلطان وتقتسم بينها الكمالات وتشارك البشر في

كل اهوائهم وشهواتهم القبيحة كالزنا والقتل والسرقة فنكفي بالاشارة الى كل ذلك حتى يتضح كضوء الشمس شطط محمد النير في معارضته سرّ الثالوث الاقدس بخرافات الوثنيين وارجاسهم

٣ ﴿ ثبات المعتقدين ﴾ انّ معتقد النصارى في الثالوث كما تجده مدوّناً في كتب الوحي منذ عشرين قرناً تجده اليوم ايضاً في دستور ايمان النصارى دون ادنى اختلاف والكنيسة حافظت على تلك الوديعة الثمينة بكل حرص فما كان احد يمسّ هذا المعتقد الّا اسرعت وفندت اقواله فان ارعوى والّا حرمته من شركتها واعتبرته كوثني وعشّار

امّا الثالوثات الوثنيّة فانّ اختلافاتها قد توفّرت فلا تكاد تجد لها في كاتبَين وصفاً واحداً بل تراها متباينة كل التباين من مكان الى آخر ومن زمن الى زمن ومن أمة الى اخرى ولهذا لا يستطيع العلماء في أيامنا ان يقولوا شيئاً ثابتاً عن تعاليم الوثنيين في تلك الخرافات ويهدم الواحد ما زعم بناءهُ الآخر. وكما قال اولئك الشعوب بالثالوثات قالوا بالرابوعات والخاموسات والسابوعات كما ترى في الصور التي نقلناها هنا عن احدث الكتبة واصدقهم كماندرون (Maindron: *l'Art Indien*) وكروزرس (F. Creuzers: *Symbolik und Mythologie*) وكلّها مزاعم فريّة انتجتها التخيُّلات الوهميّة

٤ ﴿ انتشار المعتقدين ﴾ انّ معتقد النصارى في الثالوث الاقدس منتشر اليوم بين ستمائة مليون من البشر اي الكاثوليك والروم والبروتستانت وهم الشعوب الارقى في التمدُّن والعقل والعلم ومع ترقّيهم لم ينبذ بينهم ذلك المعتقد الّا بعض الكفرة المعروفين بالتطرُّف والعناد بل يدافعون عنهُ ويثبتونهُ بالادلّة التي لم يَقوَ على تفنيدها احد لوجودها في مستودع الوحي. واذا دخل مرسلوهم بلداً اقنعوا اهلهُ ببيّنات تعليمهم في الثالوث الاقدس امّا الثالوثات الوثنيّة فكلها بطلت اليوم واذا سألت علماء الوثنيين في الهند والصين وكهنة أُمم البرابرة عنها تلعثموا وما دروا ما يجيبون واذا رجعوا الى كتبهم القديمة لم يتفق احد منهم على شرحها وتعليلها كما يروي المرسلون كل يوم في اخبارهم عن تلك الشعوب

وكان بودّنا ان ننقل هنا اقوال العلماء الصادقين عن الثالوثات الوثنيّة لولا ضيق

المجال. ونكتفي فقط بشاهدين عمّا يدعونهُ بالتريمورتي (Trimurti) وهو الثالوث الهندي الذي طنطن بهِ بعض اللحدين وصوَّر محمد التنير صورتهُ (ص ١٨) وزعم انهُ الهٌ واحد في ثلاثة اقانيم. قال السيد لاونان في تاريخ البرهمانيَّة : Laouenan) (*Le Brahmanisme* I, 7 et II, 178-179 : « انَّ التريمورتي عند الهنود يختلف اختلافاً جوهريًا عن سرّ الثالوث عند النصارى فانَّ الهنود زعموا بانَّ الاله الاعظم خلق ثلاثة آلهة متساوين لكنهم دونهُ مرتبةً لا يمكنهم ان يبلغوا مقامهُ في العظمة وهم يمثلون عظمتهُ في عالم الكون »

« Le Trimurti indien se compose de trois dieux inférieurs, créés par la divinité suprême . . . Ils ne sont que les représentants extérieurs de cette divinité suprême »

وقال العلّامة الفرنسويّ دلا ڤاله پوسان (De la Vallée Poussin) في كتاب معلوماتنا الحاضرة عن الديانات القديمة Où en est l'Histoire des Religions) (I, 278 : « بئس ما فعل البعض اذ قابلوا بين الثالوث الاقدس ومجموع الآلهة الثلثة « برهما وڤشنو وسيڤا » لان عَبَدَةَ ڤشنو يعتبرون سيڤا كخادم ڤشنو وعَبَدَةَ سيڤا يعتبرون ڤشنو كصورة سيڤا وكلاهما يعدّ برهما كاسم بلا مسمى »

« On compare à tort, à la Trinité, le groupe Brahmâ, Vishnou, Çiva ; car pour les vishnouites, Çiva est un domestique ; pour les çivaïtes, Vishnou est un double de Çiva ; pour les uns et pour les antres, Brahma n'est qu'un nom »

فما ابعد محمد طاهر التنير عن الحق في ما كتب عن الثالوث الاقدس المسجود لهُ وما كان احراهُ ان لا يلقي بنفسهِ في ابحاث لا يعرفها ! وغاية ما يستطيع كل انسان ان يقولهُ بازاء سرّ كهذا ما قالهُ الرسول بولس : « يا لعُمق غنى الله وحكمتهِ وعلمهِ وما ابعد احكامهُ عن الادراك وطرقهُ عن الاستقصاء » او ما قالهُ احد كبار العلماء : « اننا لو استطعنا مع ضعف عقلنا ان ندرك اسرار الله لزال كون الله الهًا »

(لهُ بقيَّة)

وداع الأم لابنها المهاجر

من نظم الاديب يوسف افندي غصوب احد طلبة كليتنا سابقاً

دموعٌ على الخدَّين تنهلُّ كالقطرِ وفي الصدرِ وجدٌ دونهُ حُرقةُ الجمرِ
ترى الأمَّ في بحرِ الشجون غريقةً تخوض غمارَ الهمِّ في المدِّ والجزرِ
تئنُّ أنينَ الوالهاتِ تفجُّعاً على فرقةِ ابنٍ اروعٍ نابهِ الذكرِ
وتُصعدُ انفاساً يكادُ ضِرامُها يُذوِّبُ من فرطِ الأسى مهجةَ الصخرِ
اذا حاولت حبسَ الدموع امامهُ عصتها ولم تحفل بردعٍ ولا زجرِ
فتنثر درًّا فوق شاحبِ خدّها فيصبحُ لونُ الدرّ في صُفرةِ التبرِ
وتقذفُ من احشائها لهبَ الجوى كما تقذفُ الريحُ السمومُ لظى الحرِّ
اذا حان ميقاتُ الوداعِ تململتْ وقالت : ايا للهِ من ساعة الهجرِ
فتبّاً لأيامِ النوى ما أمضَّها فانَّ لها طعماً امرَّ من الصبرِ

*

بُنيَّ رُوَيدًا انَّ بُعدكَ قاتلي فلا ترمِ عن قوسِ النوى والجفا صدري
لقد عيلَ صبري من نواكَ فلم يَعُدْ يطيبُ لجنبي غيرُ مضطجعِ القبرِ
حضنتُكَ طفلاً تحت اجنحةِ الهوى أعاطيكَ كأسَ الحبِّ أحلى منَ الخمرِ
فكم سامرت عيناي وجهكَ في الدُّجى فكنتَ الى عينيَّ أشهى من البدرِ
وكم كنتُ أُزري بالجمانِ منظَّماً اذا لاح لي درُّ ابتسامِكَ في الثغرِ
بُنيَّ رُوَيدًا ما الذي انتَ فاعلٌ ألم تدرِ أنَّ الهجرَ يوردني قبري
ألم ترني مشطورةَ القلبِ والحشى فلا تشطُرَنَّ القلبَ شطرًا على شطرِ
فأنتَ لروحي بلسمٌ في شدائدي فمن ذا يُداويني اذا خانني دهري
وأنت لقلبي زهرةُ الأُنسِ في الضّنى فإن بِنتَ بانَ الأنسُ عنّي مدى العمرِ
يقولونَ لي صبرًا على لوعةِ النَّوى وقد نفدت قبلَ النوى جُبّةُ الصبرِ
فكيف أُطيقُ الصبرَ والبينُ ضاربٌ قبابَ البلايا فوق أفنيةِ الصدرِ
وكيفَ يعاني الجسمُ فرقةَ روحهِ وكيف يقاسي القلبُ وجدًا لهُ يبري

حرامٌ على عيني ان تُطعَما الكرى ... ولم يكتحل جفناهما بسنا بدري
مذهَّبُ شعرِ الرأسِ يثنيكَ وجهه ... اذا لاح في الظلما عن الانجم الزُّهر
فكنتُ اذا استنشيتُ انفاسَ حُبّهِ ... كأني بهِ يُهدي اليَّ شذا الزَّهر
وكنت اذا ما الليلُ مدَّ رواقهُ ... أرى في محيّاهُ الوسيمِ سنا الفجرِ
وكنت كأني في النعيمِ بقربهِ ... أطاردُ ريبَ الدهرِ والدهرُ في إثري
اذا رعَتِ الألحاظُ بدرَ سمائها ... فبدري سيرُ الروحِ في مهجتي يسري
وإن يكُ فيها للبدور منازلٌ ... فما في فؤادي غيرهُ وبهِ فخري
غرستُ بهِ روحَ الديانةِ والتُّقى ... وأمّتهُ روحَ المداوةِ للكفرِ
فشبَّ على حبِّ الفضيلةِ والهدى ... وقد أُرِجت آثارهُ فَلَكَ الطهرِ
وكنتُ أُرَجّي أن اموتَ بقربهِ ... وها هو يمضي خائضاً لججَ البحرِ
وربِّيَ لا اهوى الحياةَ وانّما ... حبيبُ لأهواهُ واخدمهُ عمري

*

اوالدتي كفّي النحيبَ وكفكفي ... دموعَ الأسى حرصاً على عمركِ النَّضرِ
فدمعكِ يدمي مهجتي ويزيدني ... لدى البعدِ وجداً ينتهي عندهُ صبري
فما أنا راضٍ بالبعادِ وانّما ... بذا قد قضى دهري فآهاً من الدهرِ
على أنهُ مهما نأت شقّةُ النوى ... فإنكِ لا تنأينَ عن ساحة الفكرِ
وانكِ في قلبي تجولينَ جولةً ... تذكّرني دوماً بآلائكِ الغُرِّ
فأثني على تلك العوارف منشداً ... بأنديةِ العرفانِ انشودةَ الشكرِ
ليعلمَ اهلُ الخافقينِ بأنني ... أسيرُ الثنا لا ابتغي الحلَّ من أسري

*

ألا سِرْ بعون الله يا خيرَ راحلٍ ... ولا زال معقوداً عليكَ لِوَا النَّصرِ
يواكبُكَ الإقبالُ في كل خُطوةٍ ... ومن حولكَ التوفيقُ كالعسكرِ المَجْرِ
لئن مضَّني منكَ الفراقُ فانّنا ... يُعزّي فؤادي ذِكْرُكَ الطيّبُ النَّشرِ
الا احرص على كنزٍ ثمينٍ جمعتهُ ... من الدين حرصَ المسكينَ على الصُّفرِ
وحافظ على الآدابِ والسُّنَنِ التي ... نشأتَ عليها تغتنمْ اجزلَ الأجرِ
وكُنْ حيثما تنزلْ كزهرةِ زنبقٍ ... يضوعُ شذا ذكراكَ في الارض كالعطرِ

فانَّ حياة المرء مثلُ صفيحةٍ تُخطُّ عليها أسطُرُ الخيرِ والشرِّ
فإن يأتِ خيرًا زانَ بالخيرِ عمرهُ وإن يأتِ شرًّا شانَهُ دَنَسُ الوزرِ
ستأتي بلادًا أنتَ تجهلُ أهلها فعِش بينهم ندبًا وسِر سيرةَ الحُرِّ
وإيَّاكَ ان تغترَّ بالحِيَلِ التي يموِّهُها اهلُ المفاسدِ والنُّكرِ
وأعرِضْ عن القومِ اللئامِ وجافِهِمْ وكُن من مُداجاةِ الغواةِ على حذرِ
ولا تختلِطْ بالمُلحدينَ بني العَمَى فعشرتُهم تُعمي ولطفُهمُ يُغري
وجانِبْ عُداةَ الدينِ واحذر سمومَهم فهم آفةُ الدنيا وجرثومةُ الضرِّ
لاقوالهم في القلبِ أفتكُ موقعٍ فهم يدخلونَ القلبَ عن طُرُقِ المكرِ
فلا تقترب منهم فإنَّ لسانهم يدسُّ سمومًا في النفوسِ على غدرِ
ووَفِّ مواثيقَ الديانة حقَّها وبِرَّ الذي يرعاكَ في السرِّ والجهرِ
ولا تعتزلْ منحى الامانةِ واعتصِم بحبلِ التقى والصدقِ والعدلِ والبِرِّ
ولا تثقَنْ بالناسِ قبلَ ابتلائهم ولا تتَّخذ منهم خليلًا بلا خُبرِ
ولا تخطبَنْ ودَّ الأُولى عبدوا الهوى لئلا تذوقَ الموتَ من حيثُ لا تدري
ولا تدنُ ممَّن كان من طبعِهِ الأذى فبسمهُ يُدمي ومقولهُ يَفري
فخيرُ الورى من صدَّقَ الفعلُ قولَهُ وشرُّهمُ المذَّاقُ ذو الخبثِ والختْرِ
ولا تصرفِ الأوقاتَ باللهوِ غافلًا فإنَّ الملاهي تُنذِرُ المرءَ بالفقرِ
ولا تغفلَنْ عمَّا رحلتَ لأجلِهِ لترجعَ للأوطانِ باليُسرِ والكُثرِ
ولا تُخلِقَنْ ديباجةَ الوجهِ واحتفظ بما يُكسِبُ العلياءَ مع رفعةِ القدرِ
ولا تبتذلْ بالكدِّ مُطرَفَ صحَّةٍ فصحَّةُ جسمِ المرءِ خيرٌ من الدُّرِّ
وإيَّاكَ والحرصَ الذميمَ فانَّهُ يُعرِّضُ عِرضَ المرءِ للطعنةِ البِكرِ
فإن تتَّبِع نصحي تَنَلْ ما تُريدهُ من الخيرِ والإقبالِ في ذلكَ القُطرِ
وإلَّا دفنتَ القلبَ في حُفرةِ الأسى وخطَّتْ لهُ الأكفانَ من نُوَبِ الدهرِ

*

أأمَّاهُ لا تخشي عليَّ فانَّني لأرعى الذي تهوينَهُ مدَّةَ العمرِ
ولا أنثني عمَّا يزيدكِ بهجةً فبشرُكِ معقودٌ بهِ أبدًا بِشري
فإن وفَّقَ الرحمنُ عدتُ الى الحمى لأقضيَ عمري تحتَ ظلِّكِ بالفخرِ

فأنتِ لقلبي جنّةٌ زهرُها المنا … وانتِ لروحي الذُخرُ إن فاتني ذخري
ألا مكّنيني من رضاكِ فانني … بهِ اجتني ما راق من ثمرِ البشرِ
ولا تمسكي عني بشائركِ التي … تبدّدُ غيمَ الهمّ والغمّ عن فكري
وها انني ماضٍ وفي القلب حُرقةٌ … وفي الصدر لوعاتٌ أحرُّ من الجمرِ

*

ألا قبّح اللهُ النوى ما أشقّها … فــانّ لهـا عُقبى أمرَّ من المُرّ
يخوض الفتى بحر النوائب صابرًا … وليس لهُ عن فرقةِ الاهل من صبرِ
فلا تسألوا عمّا جرى ساعةَ النوى … فلا يعرف الأهوالَ الّا ذوو الخبرِ
فوالــدةٌ ثكلى الفؤادِ تدفّقت … دموعُ الجوى من مقلتيها على النحرِ
يفتّت قلبَ الصخرِ مشهدُ حزنها … كأنّي بها الخنساء تبكي على صخرِ
واما ابنهــا فالوجدُ ألهبَ صدرَهُ … فودّعها والدمعُ من عينهِ يجري
مضى حامــلًا همًّا تنوء بهِ الرُّبى … ولوعــةُ لم تطفِها لُججُ البحرِ
فلم يُسْلِهِ عن امــهِ في مسيرهِ … مشاهدُ انسٍ تجملُ الهمَّ في أسرِ
ومــا زالتِ الأشواقُ تلذعُ قلبَهُ … ويشكو غليلَ الصدرِ وهو على الغمرِ
الى ان طوى بينَ الهموم رحيلَهُ … وألقى عصا الترحال في بلدِ الهجرِ
فقد خاضَ ميدان التجارة سدّدت … اليــه يدُ الدنيا نبالًا من القهرِ
فأودت بأموالٍ لــهُ فتضعضعت … عزائمُهُ حتى شكا مُضض العُسرِ
فلم يلقَ في تلك البلادِ اخا ندًى … يشدُّ بهِ أزرًا فبــاتَ بلا ازرِ
فلمّــا درى خلٌّ له بمصابهِ … أتاهُ وفي كفّيــهِ أحبولةُ المكرِ
وقال لهُ : خلِّ الديانةَ واعتصمْ … بقومٍ من الاحرارِ تبلغ مَدى اليُسرِ
فكان لهذا الوعد في جوِّ فكرهِ … رعودٌ يكادُ القلبُ مع برقها يجري
ولو لم يقع في بالهِ نصحُ أمّــهِ … لمال بــهِ حبُّ النُضارِ الى الكفرِ
فيــا حبّذا تلك النصائحُ انّها … أرتهُ تُرابَ الأرض خيرًا من الصُفرِ
وقد صوّرت ذاكَ الصديقَ لنفسهِ … عدوًّا يصيدُ الناسَ بالغشّ والختْرِ
فأسمعــهُ لومًا احدَّ من الظبي … وعنّفهُ سُخطًا على قولهِ الكفري
وقــال لهُ : تبًّا لقومٍ تبعتَهم … فمن دأبهم ان يغدروا معشرَ البِرِّ

بهم قاست الدنيا خطوباً جسيمةً ... فأصبح ذو الرأي الحصيف بهم يُزري
لئن نالني الموت الزُّؤام فانهُ ... لخيرٌ من الإثراء مع وصمة الوزرِ
فغادرهُ ذاك الخبيث ووجهُهُ ... عليهِ سماتُ الغيظِ والحقدِ والشرِّ
فلم يكترث ذاك الفتى لوعيدهِ ... وعدَّ بلايا الدهرِ من نِعَمِ الدهرِ
لذلك لم تلبثْ يدُ الله أنْ سخَتْ ... عليهِ بآلاءٍ تندُّ عن الحصرِ
فأقبلتِ الدنيا عليهِ بيُسرها ... فبات أليفَ السعد في حُلَلِ الوَفرِ
وعادَ الى اوطانهِ وشعارُهُ ... فضائلُ تكسو المرء بردًا من الفخرِ
فلمَّا رأت تلك الأُميمةُ نجلَها ... على خيرِ حالٍ أهرقت دمعةَ البِشرِ
وخرَّت على الأقدام تحمدُ ربَّها ... على نِعَمٍ جُلَّى تجوزُ مَدى الشكرِ
فيا قومُ ما احلى الحياةَ اذا انطوت ... وقد رُصِعت أبرادُها بحِلى الطُّهرِ
وما ابهجَ الدنيا اذا زانَها التُّقى ... وما أجملَ الآدابَ بالرجلِ الحُرِّ

النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي

النصرانيَّة بين عرب شمالي سوريَة (تابع)

﴿ معان ﴾ قال ياقوت (٤: ٥٧١): «هي مدينة في طرف بادية الشام تلقاء الحجاز من نواحي البلقاء.» وكان اهلها نصارى تحت حكم الروم والمالك عليها عند ظهور الاسلام فروة بن ابي عامر شيخ بني جذام النصارى. وبقرب معان عند موتة التي دعاها ثاوفانوس المؤرخ (Théophane, I. 515. éd. Bonn) باسم (Moῦθους) حدثت وقعة سنة ٨ للهجرة بين جيوش المسلمين تحت امرة زيد بن حارثة وجعفر ابن ابي طالب وعبدالله بن رواحة و (بين) جيوش الروم تحت قيادة ثاودورس

المعروف بالناب وقد روى مؤرخو العرب انّ عدد الروم كان مئة الف ومعهم من عرب النصارى مئة الف آخرون (١ فكان الانتصار للروم وهُزم المسلمون وقُتل قادتهم. لكنّهم عادوا بعد ذلك بسنة فغلبوا الروم وفتحوا معان واستولوا على جهات البلقاء. وقيل انّ فروة صاحب معان اسلم

﴿ المدينة ﴾ كان اسمها في الجاهليّة يثرب دُعيت بذلك على ما قيل باسم بانيها احد ابناء آرام وفي تقاليد العرب انّ اوّل من سكنها العمالقة ثم هاجر اليها اليهود في ازمنة مختلفة قبل المسيح على عهد موسى ويشوع بن نون وداود ثم في زمن خراب اورشليم وهيكلها على يد الاشوريين ثم بعد المسيح عند فتح الرومان للقدس الشريف فخرج منهم الى يثرب بنو قريظة والنَّضير وبَهدل ونزلوا واديين اسمهما بطحان ومهزور (٢ وبنوا هناك الآطام اي المنازل المحصّنة

وكانت ديانة هذه القبائل اليهوديّة كما هو بديهيّ. غير انهم اختلطوا بقبائل أُخرى عربيّة كان البعض يسكن في جوار يثرب والبعض الآخر هاجر اليها من اليمن بعد تفرّق اهلهِ سواء كان بسبب سيل العرم كما روى العرب او لعلل أُخرى

وما لا سبيل الى انكاره انّ النصرانيّة دخلت يثرب بعد السيد المسيح بقليل كما رأيت في ما نقلناهُ عن دعوة الرُّسل في الحجاز ووجود قبر واحد منهم في جبل العقيق من ناحية المدينة على ما نقلهُ الطبري

وليس من المستبعد انّ بين القبائل اليهوديّة المهاجرة من اورشليم قوم عرفوا النصرانيّة ودانوا بها ولاسيما اولئك المتنصّرين الذين سبق خروجهم فتح حاضرة بلادهم فالتجأوا الى المدن الواقعة ما وراء الاردن. فانّهم اذ رأوا ما حلّ بالمدينة المقدّسة من الدمار توغلوا في بلاد العرب وسكنوا في جهاتها الداخليّة

والظاهر انّ بعض تلك البدع المعروفة بالبدع اليهوديّة النصرانيّة (sectes

١) هكذا روى العرب ومثلهم روى السريان كالياس النصيبيني اطلب تاريخ اليعقوبي (٣: ٦٦) ومعجم البلدان لياقوت (٤: ٦٨٨ و ٥٧١) ثم de Goeje: *Mémoires d'Hist. et de Géogr. Orientales*, 2 éd., 1900, p. 6-9

٢) راجع كتاب الاغاني (١٩: ٩٥) وروايات الاغاني (٣: ١-٥) راجع ايضاً مجلة الدروس اليهوديّة (Revue des Etudes Juives VII, 167 et X, 10)

(judéo-chrétiennes) شاعت خصوصاً في نواحي العرب كشيع الناصريين (Nazaréens) والابيونيين (Ebionites) والكسائيين (Elkésaïtes) وقد ذكرهم الكتبة الكنسيّون في القرون الاولى كاوسابيوس المؤرخ (١ واوريجانس المعلم (٢ ويوستينوس الشهيد (٣ والقديس ابيفانيوس (٤ في تاريخ المرطقات والقديس هيرونيموس في كتاب الاعلام (٥ وتاودوريطس (٦ وصاحب الفلسفيّات (٧ وذكروا علاقاتهم مع المسيحيين

واستشهدوا بما كان لديهم من الآثار النصرانيّة. وقد وجد الاثريّون في زماننا بعض تلك الآثار المكتوبة بالحرف السرياني الفلسطيني ونشروها بينها فصول انجيليّة وطقوس ورُتب بيعيّة

وبعض هذه البدع التي انتشرت في جهات العرب بالغ اصحابها في اضاليلهم فنبذ النصارى مزاعمهم وقبّحوها كالقطاريين (Collyridiens) الذين كانوا يبالغون في عبادة مريم العذراء فيقدّمون لها نوعاً من القرابين اخصّها اقراص العجين والفطائر وقد ذكرهم القديس ابيفانيوس في كتاب الهرطقات (٨ ولعلّ هؤلاء المبتدعين هم الذين دعاهم ابن بطريق (٩ بالمريميّة والبربرانيّة فافادنا انهم كانوا يقولون « انّ المسيح وامّهُ الهان من دون الله ». وقد وصفهم بذلك ابن تيميّة في كتابهِ الجواب الصحيح ودعاهم بالمريمانيين او المريمانيّة. وعلى هذا البناء شرح مفسّرو القرآن قولهُ: في سورة المائدة « اتّخذوني وامّي الهين » وقالوا في شرح قولهِ في سورة النساء « ولا تقولوا

---

١) اطلب تاريخهُ (Eusèbe, H. E., IV, 17 et 22)

٢) اطلب ردّهُ على قلسوس (Origenes c. Celsum, II, 3 et Hom. III, in Gen. n° 5)

٣) اطلب مذاكراتهِ (Justini *Dialog.*, c. IV, LXIII et LXXX)

٤) كتاب الهرطقات (Epiphan., *Hæres.* XXIX, 7, 9, 15, et XXX, 15-19)

٥) اطلب (Hieron. *De situ et nominibus*, Migne, XXIII, p. 888)

٦) كتابهُ في خرافات الامم (Theodoret. *fabul.* I, et II, 18)

٧) اطلب (Philosaphoumena, VII, 12, IX, 13, X, 17 et 29)

٨) اطلب (Epiphan., *Hæres.* 10)

٩) راجع طبعتنا (١٣٦)

ثلثة » اي لا تقولوا الآلهة ثلثة الله والمسيح ومريم (كذا ورد في شرح البيضوي والزمخشري وغيرهما)

وقام غيرهم في انحاء العرب وتطرّفوا على عكس ذلك فانكروا على العذراء مريم دوامها في البتوليّة فسمّوهم لذلك بالمعادين لمريم (Antidicomarianites) وذكرهم القديس ابيفانيوس في كتاب البدع (١

وروى القديس ايلاريوس في رسالته الى قسطنطين الملك (٢ انّ فرعاً من اشياع اريوس ظهروا في جهات العرب وهو يدعوهم اقاقيين باسم اقاقيوس زعيمهم كانوا يذهبون الى ان السيد المسيح ليس هو ابن الله لزعمهم انّ من قال ذلك جعل لله زوجة فخلطوا بين الولادة الجسديّة والولادة الالهيّة الروحية الازليّة المثبتة في الكتب المنزلة

وقد ذكر حضرة الاب انستاس الكرملي في احدى المقالات المنشورة في المشرق (٦ : ٦٠) بدعة أخرى وجد منها بقايا في العراق تُعرف بالداوُدة او الداوُديّين يعظّم اصحابها داود النبي ويكرمون السيد المسيح لكنّهم يجعلونهُ دون رتبة داود

فكلّ هذه البدع وغيرها التي شاعت خصوصاً بين القبائل اليهوديّة المتنصرة الساكنة في حدود الشام والحجاز شوّهت المعتقدات النصرانيّة الصحيحة في تلك البلاد

وبقي الامر على ذلك حتى قدمت الى يثرب بطون من عرب اليمن كبني الحرث ابن بهثة وبني شطيّة من غسان ولاسيا بني الاوس والخزرج من الازد الذين لحقوا بها بعد سيل العرم. لكنّهم اقاموا فيها كما روى صاحب الاغاني (١٩ : ٩٥) في جهد وضيق المعاش يرتزقون من الزراعة وكانت الاموال لليهود حتى قام بينهم في اواسط القرن السادس للمسيح احد شيوخهم وهو مالك بن عجلان فأوفد الى ملك في الشام من ملوك غسّان يُدعى ابا جُبيلة فاستنجدهُ على يهود يثرب فأنجدهُ واوقعا باشراف اليهود حتى ذلّوا وصار الامر الى الاوس والخزرج مذ ذاك الحين الى ظهور الاسلام ومنهم كان الانصار. وقد وقعت بين الاوس والخزرج حروب رواها صاحب الاغاني (٢ : ١٦٧ — ١٧٠) لا حاجة الى ذكرها

١) اطلب (Epiph., *Hæres.* 78)

٢) اطلب مجموعة مين X (Migne, PP. LL.,)

امّا دين الاوس والخزرج وبقيَّة القبائل غير اليهوديَّة التي كانت في يثرب وجهاتها فيظهر انهُ كان في اوَّل امرها الشرك وانَّها كانت تعبد المناة كما روى الشهرستاني في كتاب الملل والنحل (ص ٤٣٤ من طبعة لندن) لكنَّها عدلت بعد ذلك الى النصرانيَّة. ولنا على الامر ادلَّة نرويها هنا عن مصادر موثوق بها

قد رأيت في اوَّل هــذا الباب انَّ دُعاة الدين المسيحي دخلوا بلاد الحجاز منذ قرون النصرانيَّة الاولى بل روى اوَّل مؤرخي الاسلام ابو جرير الطبري تقليداً عن اهل المدينة ذكروا فيهِ وجود قبر لاحد رسل السيد المسيح في جبل العقيق المجاور لبلدهم

ومن الادلَّة على نصرانيَّة عرب المدينة ان الاوس والخزرج ينتسبون الى الحارث ابن ثعلبة فيرتقي نسبهم الى بني غسَّان. ونصرانيَّة غسَّان ثابتة لا يشكُّ فيها الَّا من كابر الحقّ كما رأيت افليس من الصواب أن يقال انَّ الاوس والخزرج دانوا بديانة غسَّان. وزد على ذلك انَّ أبا جُبَيــلة الغسَّاني ملك الشام المعروف بنصرانيَّتهِ ما كان لينصر الاوس والخزرج على يهود المدينة كما مرَّ بك لولا علمهُ انهم يدينون بدينهِ

ولنا على ذلك برهان آخر اقرب وادلّ وهو الاسم المُطلق على اهل مدينة يثرب الذين كانوا يُدعون باهل الكتاب. قال الشهرستاني في الملل والنحل (ص ١٦٢ من طبعة لندن): « الفرقتان المتقابلتان قبل المبعث هم اهل الكتاب والاميون والاُمي من لا يعرف الكتابة فكانت اليهود والنصارى بالمدينــة والاميون بمكة » فينتج عن قولهِ هــذا انَّ اهل المدينة كانوا منقسمين قسمين قسم يهودي كقريظة والنضير وقسم نصراني وهم عرب الاوس والخزرج وقضاعة الذين كانوا يسكنون المدينة

وجاء في التقويم القديم للكنيسة الكلدانيَّة الذي نشرهُ الخوري بطرس عزيز سنة ١٩٠٩ (ص٨) ان النساطرة « اقاموا مطروبوليطاً في يثرب وانَّهُ كان فيها ثلاث كنائس على اسم ابراهيم الخليل وأيوب الصديق وموسى الكليم » وهي رواية وجدناها في غير هذا التقويم ثم في تقويم آخر مخطوط مثلهُ لاحد اهل الموصل والله اعلم بصحَّتها

على انَّ وجود النصارى في المدينة قبل الاسلام وفي اوائل ظهوره لمن الامور التي لا يمكن نكرانها. لانَّ النصارى كانوا بلغوا اقاصي تخوم العرب فما قولك بالبلاد المجاورة لممالك الروم. وهذا ما اقرَّ به المستشرقون في كتبهم الحديثة. قال

احد انشّهم العلّامة ڤلهاوزن (١: « انّ محمّداً وجد الطريق ممهّدة في المدينة بواسطة اليهوديّة والنصرانيّة لانّ هناك كان يهود كثيرون ثم لوقوع المدينة على حدود الرومان واليونان وتحت نفوذ النصارى الآراميين ». ومثله قال هرتويغ درنبورغ الموسوي من اساتذة اللغات الشرقيّة في باريس المتوفي سنة ١٩١٠: « كان للنصرانيّة تبعة متعدّدون في جزيرة العرب فكانت مالكة على شمالها بدولتي الحيرة وغسان وعلى وسطها في المدينة وعلى جنوبها باسقفيّات اليمن (٢»

وبقي النصارى في يثرب حتى بعد وفاة نبيّ الاسلام كما يدلّ عليهِ قول حسّان ابن ثابت في داليّتهِ التي رثى بها محمّداً (طبعة ليدن Hirschfeld, p. 59):

« فرحت نصارى يثربَ ويهودُها »

ولعل النصارى واليهود بقوا في المدينة الى عهد عمر بن الخطّاب الذي اخرج الفريقين من جزيرة العرب استناداً الى ما رُوي في الحديث: « لاخرجنّ النصارى واليهود من جزيرة العرب »

ولمّا اراد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٨ ﻫ (٧٠٧م) ان يجدّد عمارة المسجد الكبير المعروف بمسجد النبي في المدينة كان بُناتهُ من نصارى الروم والقبط كما روى المؤرخون. واخبر الطبري (٢: ١١٧) « انّ ملك الروم بعث اليهِ بمائة عامل ومائة الف مثقال ذهب واربعين حملًا من الفسيفساء. فبنوا المسجد وجعلوا طوله مائتَي ذراع في مثلها ». وقيل انّ بعض المدنيين لم يستحسنوا العمل اذ رأوهُ شبيهاً بكنيسة

(لهُ تابع)

١) هذا قولهُ بالحرف في كتابهِ عن ملك العرب Wellhausen: *Das arabische Reich und sein Sturz* (p, 4): « In Medina war der Boden für Mohammed vorbereitet durch das Judentum und Christentum; es gab dort viele Iuden und die Stadt lag an der Grenze desienigen Teils von Arabien, der under griechisch-roemischen und christlich-aramaïschem Einfluss stand »

٢) ودونك قولهُ: H. Derenbourg: *Opuscules d'un Arabisant* (p. 16): « Le Christianisme comptait en Arabie de nombreux adhérents; il dominait le Nord par les rois de Hira et de Ghassan, le Centre par Médine, le Sud par les évêchés du Yémen »

الذكر المخلَّد

في سيرة السيد جرمانوس معقَّد

للاب لويس شيخو اليسوعي

هذه ثلاثة اشهر بنيف مرّت علينا منذ حلول تلك الرزيئة المؤلمة التي الجعتنا على غير انتظار فكانت لوعتها اشدّ وامرّ في القلوب نعني بها وفاة فقيد الكنيسة والوطن السيد الجليل والحبر الفضال كيريوس جرمانوس معقَّد مطران اللاذقية شرفاً من امثل اساقفة طائفة الروم الكاثوليك الكريمة

ومع خمود مضض الآلام على تقدمه قد زادت كرامتهُ في العقول وظهرت مبرّاتهُ المطية في اعين القريب والبعيد حتى تمنى الجميع لو أُفردت لهُ ترجمة واسعة شاملة لاعمال حياتهِ ليبقى ذكر الصدّيق مخلّدًا ويُنصب السراج على المنارة فيضيء لجميع من يحبون الاستنارة بانوارهِ

واذ قد حظينا بمعرفة ذلك الاسقف الجزيل الفضل لم نزل منذ نُعي الينا نترصّدُ الفرصة لندوّن على صفحات المشرق خلاصة سيرتهِ ريثما يتحفنا ابناؤهُ الرسلون البولسيون بتفاصيل حياتهِ. وقد جمعنا ما ننشرهُ هنا عن اصدق الموارد واثبت الشهود العيانيين الذين عاشوا بجوار الثلث الرحمات السيد جرمانوس شاكرين لكلّ من اتانا ببعض المعلومات الآتية

ونقسم هذا النظر الاجمالي الى اربعة فصول نخصّ الاوّل بتعريف الرجل والثاني بالكاهن والاسقف والثالث بالواعظ والكاتب والاخير بالرسول في قولهِ

١ تعريف الرجل

ولد السيد جرمانوس في دمشق الشام من ابوين صالحين عيسى معقد ومريم خيّاطة من طائفة الروم الملكيين الكاثوليك وسمي يوسف. اما سنة مولده فاختلفت فيها الجرائد والمجلّات فقيل ١٨٥٠ وقيل ١٨٥٢. ولدينا ما يزيل الشك في ذلك وهو تاريخ عمادهِ المدوَّن كما افادنا عنهُ حضرة الايكونومس انطون زيادة نقلًا عن

دفتر العماد حيث ورد ما نصهُ: «في ٩ نيسان سنة ١٨٥٣ تعمد يوسف بن عيسى معقد عنده الخوري انطون كساب وكان الاشبين عم المولود داود معقد» . وهذا التاريخ قد روي في مجلة اصداء الشرق (٨ : ٢٣٠) كتاريخ يوم مولده والعلّهم عدُّوا يوم ولادته بالروح كيوم ولادته الجسدية.

نشأ الولد في حجر والديه تقيًّا مائلًا الى البرّ. واذ لم يكن آنئذ في دمشق غير المدارس الابتدائية تردّد الى مدرسة طائفته في باب المصلّى فاتقن مبادئ القراءة والكتابة والحساب على معلميه الفاضلين الخوري متري قزح والخوري فيلبس غرة. وظهر كلفهُ مذ ذاك الحين بخدمة الرتب الدينية.

ولمّا انهى دروسهُ الابتدائية دخل بصفة كاتب في مخزن التاجرين دالاتي وجفال وعمرهُ ١٢ سنة. وكان هناك مثال النشاط والاستقامة. اخبرنا الثقة انَّ احد معلميه في المحل امرهُ ان يقيد على رجل قفَّة اوز لم يشترها فنبّههُ الكاتب على ذلك فلم يقتنع فترك حينئذ يوسف معقّد المخزن واعلم الرجل المظلوم

واذ كان يوسف نشيطًا محبًّا للشغل لم يشأ ان يبقى باطلًا فاستخدم عند احد الصاغة وبقي مــدَّة يشتغل بلا أجرة ولكن برّهُ بوالدته حملهُ على ان يقضي بعض ساعات الليل في الشغل مع اخيه ليقوم بحاجاتها وبقي على ذلك ثلث سنوات

وكان في غضون استخدامه مثابرًا على اعمال التقى قدوة لفتية الشبَّان يحضر كل يوم الذبيحة الإلهية ويخدمها كمألوف عادته وكان تقرُّبهُ من الكهنة ورهبان دير المخلّص الفضلا، يزيدهُ سأمًا من الدنيا ورغبــة في الزهد بها حتى تحقّق انَّ الله يدعوهُ الى الترهب وتبيَّن دعوتهُ مرشدٌ ضميرهُ فكاشف والدتهُ بما في نفسهِ واذ رآها تانعهُ سعى غير مرَّة بالفرار من وطنهِ سرًّا فتحول الظروف دون اتمام رغبته

على انَّ الشاب الحازم لم يجهل انَّ ملكوت السماء تُغتصب وانَّ الغاصبين يفوزون بها فلم يزل مصرًّا على نيتــه وكان يكرّر لخاله جرجس عبيد خيّاطة: «اني لا اجد راحة في العالم فاترق الى الرهبانية من كل قلبي» . فثبت على عزمهِ حتى سنحت لــهُ الفرصة فولّى هاربًا وواصل السير ليلًا مع نهار حتى بلغ دير المخلص في جوار صيداء. وطلب من الاب العام الــذي كان وقتئذ الخوري الفاضل يوحنا كحيل ان يقبلهُ في جمة الرهبان المخلصيين . لكنَّ حضرة الرئيس تمنّع عن قبوله ريثما تأتيه شهادة من

معلم ذمّتهِ توقفهُ على حسن سلوكهِ فطمّنهُ الطالب بقولهِ: « لا تخف يا ابانا انني لست بقاتل ولا سارق ولم اقترف ذنباً وانما اتيت حباً بالله وخلاص نفسي » . ثم وردت على الاب العام رسائل من غبطة البطريرك يعلمهُ بحزن والدتهِ والحاحها على رجوعهِ لكنّ الشاب الفاضل لم يكفّ عن الجهاد في سبيل دعوتهِ بكلّ جرأة وثبات حتى فهم الرئيس انّ دعوة هذا الشاب من الله فلا يسوغ لهُ ان يردّ طلبتهُ ومن ثمّ قبلهُ بين المبتدئين ودعاه اغناطيوس وسلّمهُ لراهبَين فاضلين من اماثل رهبانهِ الاب يوسف غنّام والاب مكاريوس شامي ليخرّجاه في الآداب الرهبانيّة

*

وكأنّ المبتدئ الجديد اراد ان يحقق بالفعل معنى الاسم الذي دُعي بهِ فانّ قلبهُ اضطرم ناراً للكمال كالقديس اغناطيوس النوراني وكانت اوّل خطواتهِ في طريق الفضيلة كخطوات الجبابرة. وكان يسكن وقتئذٍ في دير المخلص ذلك البطريرك القديس اقليمنضوس بحوث الذي لستعفى من البطركيّة وانقطع الى ممارسة اسمى الفضائل بين اخوتهِ الرهبان فاتّخذهُ الاخ اغناطيوس كمثالهِ وجعل يقتدي بهِ في اعمالهِ المبرورة وتقشّفاتهِ كلبس المسوح وجلد الجسد والتمنطق بزنانير الحديد والنوم على الحضيض والصوم الطويل المتواتر وهو لا يجد في كل ذلك مشقة لفرط حبهِ لصليب ربّهِ ولذلك كان كتب على جدار قلّايتهِ هذا البيت من ديوان الفارضي

اذا شئت ان تحيا سعيداً فمُتْ بهِ شهيداً والّا فالغرام لهُ اهلُ

وما كانت هذه التقشفات سوى لوائح ظاهرة لفضائل باطنة اسمى وارضى في عين الله الذي ينظر الى القلب كالتواضع الرهباني والتجرُّد التامّ عن حطام الدنيا والتفاني في خدمة القريب ولا سيما ممارسة النذور الرهبانيّة التي ابرزها بعد تجاوزهِ لامتحانات الطلبة. وكل من عرفهُ يشهد لهُ انّهُ كان قدوة الرهبان اخوتهِ يرون فيهِ صورة حية لقوانينهم وعيشتهم النسكيّة

وقد شهد كل من عرفهُ انّهُ تعشق الفقر الرهباني الى حدّ بالغ ليس في ايام ترهّبهِ فقط بل طول حياتهِ فكان شظف العيش يأنف من كلّ تأنّق في الملبوس والمأكل والاثاث والسكنى ويرضى بما لا يكاد يقنع بهِ ابسط الرهبان. وربّما عدّهُ من رآه كاحدهم بل كأخملهم ان لم يعرفهُ

وحبّهُ هذه للفقر كانت تحدو بهِ الى امور غريبة كلبس الملابس الرثّة المبتذلة والزهد التامّ بالمال الى حدّ انهُ لم يحفل بهِ مطلقاً الّا كوسيلة لعمل الخير فيصرفهُ اذ ذاك بيد سخيّة ولمّا سيم مطراناً لم يحفظ لنفسهِ شيئاً ممّا كان لهُ بل ردّهُ كلّهُ للدير. وكذا فعل لمّا برح القدس الشريف ولمّا خرج من بعلبك فانّهُ خرج كرسل المسيح بثوب واحد وحلّة التقديس. وقد ظهر تجرّدهُ هذا مع اهلهِ فانّهُ صمّ آذانهُ دون صوت اللحم والدم فلم يُحسن اليهم بشيء من المال على مدى حياتهِ اذ كان يُعدّ المال الذي في يدهِ كوديعة اؤتُمن عليها للمشروعات الخيريّة فقط. بل كان اذا اتى الى دمشق لم يعلم اهلهُ سلفاً وربّما رحل منها دون وداعهم

وكانت محبّتهُ للعفّة اعظم وادقّ حتى انّ البعض عزوه الى شيء من الوسواس الّا انّهُ كان لا يهمّهُ رضى العالم ولا يكترث لاقوالهم وغاية ما يقصد ان يحصل على راحة ضميرهِ فلذلك كان يتحاشى زيارة البيوت ولا يذهب الى حمّام بل لم يقبل لسماع الاعترافات خوفاً ممّا يترتّب على المرشد من المسئوليّة. وكان يصون حواسّهُ عن كل ما يمكنهُ ان يجلب لهُ قلق الفكر ولاسيما نظرهُ فانّهُ كان حريصاً عليهِ كل الحرص مع النساء حتى مع اخواتهِ

اخبر احد رفقتهِ انّ اثنتين من اخواتهِ قدمتا مرّةً لزيارتهِ في دير حريصا فلم يرخّص لهما بان تناما هناك. وكذا صنع مع خالتهِ مرّةً اخرى

امّا طاعتهُ لرؤسائهِ فكانت كطاعة الطفل لابويهِ فمن ذلك انهُ كان يجاهر بوجوب الخضوع للكرسي الرسولي ويدافع علانية عن اوامره ويبكّت من يتردّد في الاذعان. وكان هو يتقدم الجميع في هذه الطاعة البنويّة وكذلك السادة البطاركة الثلثة الذين عاش في زمانهم كانوا يجلّونهُ ويرونهُ طوع بنانهم كما اطراهُ ايضاً رؤساء الرهبانيّة المخلصيّة انقيادهُ التام لمشيئتهم. وكان مع ذلك اذا رأى خللاً في تصرف الرؤساء لا يستنكف عن اعلان فكره بمحبّة وحرّية تامّة ليس تعظّماً واستكباراً بل قياماً بالواجب

وممّا امتاز بهِ السيد جرمانوس روح تقوى عميقة كانت تلوح على شخصه في كل حركاتهِ وسكناتهِ فكان كل من يتقرّب منهُ يشعر بانهُ حقيقة رجل الله. وكان الامر اظهر وأبين في اعماله الدينيّة كالصلاة والقدّاس وزيارة القربان الاقدس

بالتواتر والتأمل بالروحيّات وتعبّدات الخاصة وخصوصاً لمريم البتول والدة الاله التي كان يلتجئ اليها في كل ضيقاته ويكرمها كأعز الامهات ويتلو كل يوم ورديّتها وذهب الى زيارة معبدها في لورد فكتب ما نظر وسمع هناك ليزيد الشرقيين ثقةً بها

وقد عرف الفقيد منذ اوائل دخوله في الرهبانيّة انّ الراهب في زماننا لا يستطيع ان يكتفي بالسيرة الصالحة فيلزمهُ ايضاً ان يتخرّج في العلوم فبعد ابرازهِ النذور الرهبانيّة انقطع مدّة بضع سنوات لتحصيل العلوم فدرس العربيّة بفنونها ثم الحقها بالدروس الفلسفيّة واللاهوتيّة وكان احد معلميهِ الفيلسوف الغزيري يوسف حبيب باخوس الذي اثبت المشرق (٥ : ٤٥٢ و ٤٩٧) ترجمتهُ وكان احد زملائه الفضال اثيميوس زلحف رئيس اساقفة صور

وعقيب دروسهِ رسمهُ السيد اكليمنضوس بحوث شماساً انجيلياً ثم أُرسل الى دمشق حيث درّس بضعة اشهر في المدرسة البطريركيّة التي كان انشأها غبطة البطريرك الطيب الذكر غريغوريوس يوسف وباشر هناك في الوعظ للرجال وذلك في سنة ١٨٧٤ لكنهُ آثر الابتعاد عن وطنه وطلب ان يعود الى دير المخلص فاجاب السيد البطريرك الى ملتمسهِ ثم انتدبهُ رئيسهُ الى تعليم الفلسفة لاخوتهِ الرهبان فعلمها سنة او اكثر وفي إثر ذلك رقّاه السيد بحوث الى رتبة الكهنوت (1 فكانت هذه النعمة كمحرّك جديد دفعهُ الى زيادة نشاط في حبهِ تعالى وخدمة القريب والى الاقتداء بذلك الحبر الجليل والمثل الحي الذي كان يعطر باريج قداستهِ دير المخلّص

ذلك كان الرجل الذي اختارهُ الله ليكون على منارة كنيستهِ مدّة نحو اربعين سنة سراجاً وهّاجاً يستضيء بنورهِ اهل اوطاننا. على انّ فضائلهُ هذه لم تنزع عنهُ بعض النقائص التي لا يخلو منها حتى كبار القديسين فيدعها الله في اوليائهِ لتكون مادّة لجهادهم وموضوعاً لاتضاعهم. ولم تخفَ هذه الشوائب عن نظر السيد جرمانوس فكان ساعياً في كل حين بمقاومتها وضبطها تحت حكم ارادتهِ الصالحة

1) هكذا افادنا جناب اخي السيد جرمانوس وهو يوافق ما ورد في اصداء الشرق (٨ : ٢٢٣) ونظنهُ الصواب. وفي مجلّة المسرّة (ص ٧٢٥) انهُ سيم في دمشق قساً على يد غبطة السيد غريغوريوس يوسف

٣ الكاهن والاسقف

عرف البطريرك غريغوريوس يوسف ايّ كنز منح الله طائفتهُ الكريمة بالكاهن الجديد فما لبث ان استدعاه من الدير وارسلهُ الى مصر لخدمة رعيتها فكان فيها قدوة الكهنوت لكنَّ كراهتهُ لضوضاء العالم وتورُّعهُ الزائد من استماع الاعترافات ومن التصرُّف في امور الرعيَّة حديا بغبطتهِ الى ان يتخذهُ ككاتب لاسرارهِ مدَّة فابدى من الخبرة وحسن التدبير والتفاني في خدمة الجميع ما حبَّبهُ الى روساء طائفتهِ حتى انَّ السيد البطريرك عيَّنهُ بعد قليل كنائبهِ في القدس الشريف

كان هذا المنصب الجديد يقتضي رجلًا محنَّكاً بالمعاملات غيورًا ذا نزاهة تامَّة وعزم شديد لحرج المقام ووجود المماكسين للكثلكة. غير انَّ المندوب اليهِ وضع اتكالهُ على الله وباشر بالعمل ولم يقصر نظرهُ على ابناء رعيَّتهِ في القدس الشريف بل اخذ يطوف في القرى التابعة لهُ واهتمَّ هناك بتعزيز طائفتهِ في وجه معاديها. فكان يجمع قطيعهُ الصغير ويعنى بتعليمهِ وتهذيبهِ وتأسيسهِ في كل الفضائل المسيحيَّة فكان ذلك داعياً لارتداد عدد وافر من الروم المنفصلين الى حجر الكنيسة في القدس ورملة ونابلس وبعض القرى فحدث ولا حرج بما اصابهُ من جرَّاء ذلك من المشاقّ والاتعاب لغضب روساء المنفصلين عليهِ. لكنهُ لم يكفَّ عن العمل بل بقي مدافعاً عن حريَّة المرتدّين وحقوقهم فكان هو الفائز في هذا النزاع بل اقرَّ الخصوم بفضلهِ واعتدال خطَّتهِ وجازاه السيد البطريرك غريغوريوس بترقيتهِ الى رتبة الارشمندريت

وقد خلف المرحوم مدَّة السبع السنوات التي قضاها في اورشليم ذكرًا طيباً بما انشأهُ هناك من الابنية اخصها كنيسة القديسة فيرونيكا حيث يجعل التقليد التقاء السيد المسيح بهذه المرأة الصالحة وهو صاعد الى الجلجلة حاملًا صليبهُ على منكبيهِ فاشترى الاب اغناطيوس ذلك المكان واذ كان اتفق في تلك الاثناء اللغة الافرنسيَّة سافر باذن الروساء الى فرنسة ليجمع صدقات المؤمنين ويبني هناك لاكرام هذا السرّ كنيسة جميلة فتكلَّلت مساعيه بالنجاح وان لم يتمّ البناء الَّا بعدهُ بمدَّة

وممَّا يذكرهُ لهُ بالشكر آباء مدرسة الصلاحيَّة انَّهم لما اتوا الى القدس لانشاء مدرسة اكليريكيَّة لطائفة الروم الكاثوليك وجدوا في الاب اغناطيوس معقّد احسن

منشط فلم يضنّ بمساعدتهم المادية والادبيَّة طاقة استطاعتهِ فاضاف الطلبة في منزله مدةً وعلَّمهم الطقوس وسمع اعترافاتهم ولم يزل بقيَّة حياتهِ من اصدق اعضاد هذا المشروع الخطير حتى لم يبرح عن ذكرهِ وشفاههِ قبل لفظ انفاسهِ الاخيرة

واذ فرغ وقتئذٍ كرسي بعلبك بوفاة السيد باسيليوس ناصر رأى غبطة البطريرك غريغوريوس يوسف ان يكل الى نائبهِ في القدس تدبير تلك الابرشيَّة ورغماً عن تمنّعهِ الطويل سامهُ مطراناً عليها في ١٦ آذار سنة ١٨٨٦ وسُمي جرمانوس. فتولَّى المطران الجديد عملهُ بما عُرف به من الهمة العليا متذكرًا قول الرسول بانَّ الاسقف قلدهُ الروح القدس رعاية كنيستهِ التي فداها الربّ بدمهِ. فخدم ابرشيَّة بعلبك مدة ثماني سنوات بغيرةٍ لا تعرف الملل فكان قاصدًا ان يجعلها في مقدَّمات ابرشيَّات طائفتهِ فافرغ لذلك كنانة جهدهِ واخذ يهتمّ بتنظيم الاوقاف واعداد لوازم كنيسة جديدة بدلًا من القديمة التي كانت جدرانها تتداعى ولا تفي لضيقها بحاجات المؤمنين فنال بعض مرغوبهِ ولا شكّ انهُ كان حقَّق كل امانيه بالفعل لولا ما اعترضهُ في سبيلهِ من العوائق بمساعي بعض ذوي الغايات ولم تزل معاكساتهم تتعقبهُ وتفتُّ في ساعدهِ حتى رأى انهُ لا يستطيع ان يقوم بمهنتهِ كما تقضي بها ذمَّتهُ فاستعفى لئلا يطالبهُ الله عن ضعفهِ في الدفاع عن حقوق الكنيسة. فقبل السيد البطريرك استعفاءهُ بعد مراجعة بقيَّة الاساقفة وسمَّاه اسقف اللاذقيَّة شرفاً وذلك سنة ١٨٩٤

٣ الواعظ والكاتب

لم يجد السيد جرمانوس في اعتزالهِ لتدبير ابرشيته سبباً لان يُخلد الى الراحة بل اراد على خلاف ذلك ان يخدم النفوس خدمة اوسع ولسيَّما دون ان يرتبك البتة بالشؤون الزمنية. وكان اذا دُعي للاشتراك في صوالح طائفتهِ العموميَّة اجاب الى ذلك كما فعل في انتخاب السيدين البطريركين بطرس جريجري وكيرلس جحا وفي غير ذلك ملازماً كما في السابق خطَّتهُ من تقديم مجد الله واصلاح الكنيسة على كل الغايات البشريَّة لا يأخذه في عمله لومة لائم. لكنَّهُ في ما عدا تلك الظروف كان يؤثر خدمة القريب بطرائق اخرى اعني بلسانهِ وقلمهِ

كان السيد جرمانوس مزداناً بكل صفات الخطيب المصقع سواء كان من

جهة سَخنائهِ ووسامة هيئتهِ وشدَّة صوتهِ او من جهة طلاقة لسانهِ وعارضتهِ وفصاحة لفظه وبلاغة معانيهِ. وكان اذا تكلم حقق كلمة الانجيل انَّ لسانهُ يتدفَّق من ملءِ قلبهِ فينصت اليهِ السامع بكل ارتياح ويتأثر من كلامهِ. وكان لا يردّ طلبة داعٍ من الاساقفة والكهنة اذا استدعوهُ الى رعاياهم للوعظ وللرياضات الروحيَّة وقلَّ ما وُجد في هذه السنين الاخيرة اسقف مثلهُ بلغ في ذلك مبلغهُ. وكانت الاثمار الناتجة عن ارشاداتهِ وافرة حتى لا يكاد يبقى بعد سماعهِ من يتأخر عن مواظبة الاسرار المقدَّسة

وكان اذا انتهى من المواعظ والرياضات أمسك قلمهُ ليواصل خدمتهُ للنفوس فكان القلم في يده كآلة قديرة على نشر التقى والعبادة والتعاليم الصالحة لتبلغ كتاباتهُ حيث لم يبلغ صوتهُ. وصار لتآليفهِ شهرة كبيرة اذ لم يدَّخر وسعاً في اخراجها على صورة تلذّ وتفيد معاً. ومن امعن النظر في انشائهِ وجدهُ سهلاً منسجماً بعيداً من كل تعقيد وركاكة تظهر فيه مسحة من الطلاوة والمتانة المتزجتين بحسن السبك والاتساق

وكتابات السيد معقد على ثلاثة اقسام منها طقسيَّة وتقويَّة ومنها خطابية. ومنها ادبية ولكل قسم من المزايا ما يختصّ بهِ

وقد باشر بالكتب الطقسية لما رأى من حاجة ابناء طائفتهِ اليها فنقح اوَّلًا كتاب الميناون اذ كان نائباً بطريركيًا في القدس وسعى بطبعهِ سنة ١٨٨٣ ثم نشر في مطبعتنا بعد ذلك سنة ١٨٩٧ مختصرهُ للاعياد المتازة وكذلك صحَّح عبارة كتاب السواعي وزاد عليهِ عدَّة فوائد وكرَّر طبعهُ غير مرَّة. ولهُ في هذا المعنى كتاب رفيق العابد الجامع لكل الفرائض الروحية لذوي الطقس اليونانيّ وكتاب تفسير القدَّاس وخدمة الفصح الجليل وتشائد روحيَّة. وممَّا يلحق بهذا الباب كتابهُ تحقيق الاماني لذوي الطقس اليونانيّ ابدى فيهِ رأيهُ في عدَّة شوون طقسيَّة بيَّن خللها ووجوب اصلاحها وعدم علاقتها بجوهر الطقس

وكتبهُ الخطابيَّة ليست باقلّ شأنًا من كتبهِ الطقسيَّة والتقويَّة طُبع منها الكلام الحيّ وسبيل الصلاح وحسن الختام وهي تشتمل على مواعظ مختلفة منها ادبيَّة ومنها تعليميَّة وبعضها اجتماعيَّة وكلها مكتوبة بلهجة حيَّة وعبارة رائقة فكثر عليها الاقبال واستحبَّها الادباء فضلًا عن اهل التقى

امَّا كتبهُ الادبيَّة فاوفر واكثر تفنُّناً منها تاريخيَّة محضة كلُورد وفتاتها ومنها تاريخيَّة في قالب خيالي كرحلة الفيلسوف الروماني المتضمنة لترجمة السيد المسيح على صورة لطيفة وكحسنا. بيروت وهي رواية خياليَّة مدارها على حادثة واقعيَّة. ولهُ كتاب السلوة في جزءين ضمَّنهُ عدَّة روايات لطيفة ونوادر مستملحة وكتاب ذخيرة الاصغرين وهو مجموع من ائمة الكتبة الاقدمين والمحدثين ضبطهُ بالشكل الكامل

وللسيد جرمانوس فصول ادبيَّة متعدّدة ظهر قسم منها في مجلة المسرة التي دخلت آخرًا في سنتها الثالثة وكان هو ابن بجدتها والساعي في نشرها وتحسينها بعد ان جهَّز لها مطبعة تامَّة الادوات جعلها تحت نظره على قمَّة لبنان في دير مرسليه البولسيين. بل كان يعدُّ لها في اوقات الفراغ فصولًا بديعة يودعها المغازي اللطيفة في صورة شريفة ولا تزال المجلة تبهج بها القرَّاء بعد وفاة كاتبها النحرير

٥ الرسول

رأيت في ما سبق انَّ صاحب الترجمة كان يتلهَّب غيرةً في نشر التعاليم الخلاصيَّة بالوعظ والقلم كأنَّ لسان حالهِ يردّد قول بولس الرسول: الويل لي ان لم أُبشر. والحقّ يقال انَّهُ قام بهذه الرسالة احسن قيام. لكنَّ حميَّتهُ الاسقفيَّة لم تكتفِ بذلك فكان يسمع صوتاً في قلبهِ يحثُّهُ على انشاء فئة رسولية تنوب عنهُ في انحاء الوطن وتواصل عملهُ بعد وفاتهِ بين ابناء طائفتهِ. وكان يجد قدوة في ذلك بالرهبانيات الاوربيَّة المنتشرة في الشام ومصر والعراق كالآباء العازاريين والكبوشيين واليسوعيين الذين تراهم متحفزين لاعمال التبشير في اي زمن كان. بل وجد من سبقهُ الى مثل هذا الفكر في الملة المارونيَّة حيث ظهر قبل ٣٠ سنة الطيب الذكر السيد حنا حبيب فانشأ جماعة المرسلين الكريميين الذين ادّوا خدماً لا تُعدّ لاهل طائفتهم في انحاء سوريَّة فرأى السيد جرمانوس ان يتحف طائفة الروم الكاثوليكيَّة بجمعيَّة على شبهها يقتدون بتلامذة السيد المسيح فيتنقلون في المدن والقرى للتبشير بملكوت الله دون ان يثبطهم في ذلك عائق ما

ولم يشأ السيد جرمانوس ان تبقى هذه النيَّات الصالحة مدفونة في اعماق القلب بل جعل يسعى في اخراجها الى حيز العمل ويعرض الامر لكل من يمكنهُ ان يسعفهُ في انجازهِ. وكان اوَّل من اثنى على قصدهِ وحضَّهُ على الاسراع في مباشرتهِ قداسة

الحبر الاعظم لاون الثالث عشر يوم مثل لديه في رومية سنة ١٨٩٦ واستمدَّ بركتهُ لهذا المشروع وكذا فعل المجمع المقدَّس على مثال نائب المسيح. ولم يكن البطريرك غريغوريوس اقلَّ تنشيطاً للعمل كما صادق عليه البطريرك بطرس جريجيري بطيب الخاطر على انَّ رجل الله لم يرضَ بابتناء هذا البرج الانجيلي حتى يتأكد انَّ بناءهُ يكون متيناً فلذلك بقي يعدَّ لهُ المواد الى سنة ١٩٠٣ وكانهُ تذكَّر انَّ القديس اغناطيوس منشئ الرهبانيَّة اليسوعيَّة ارتبط بالنذور مع رفقتهِ على جبل مونمرتر في باريس يوم عيد انتقال العذراء. فكذلك باشر السيد جرمانوس انشاء جمعيتهِ الرسوليَّة في اليوم عينهِ حيث ابرز نذورهم بين يديهِ ثلاثة من ابناء طائفتهِ المتخرجين في مدرسة الصلاحيَّة واطلق عليهم اسم البولسيين ليكون القديس بولس شفيعهم الخاص ومثال غيرتهم المتقدة في خلاص القريب واعمال التبشير بالوعظ والكتابة. ولا حاجة ان نذكر هنا ما توارد عليه بنسبة هذه الحفلة من رسائل التهنئة والتشجيع من الكرسي الرسولي والمجمع المقدَّس ومن غبطة البطريرك كيرلس الثامن الكلي الطوبى وبقيَّة المطارين

وكنَّا نودُّ ان نصف هنا ما اتت الجمعيَّة البولسيَّة من الاعمال المشكورة في هذا الوقت القليل الذي مرَّ على انشائها الّا ان ضيق المجال يقضي علينا بالتنويه به فقط مؤملين وجود فرصة اخرى للاتساع في ذلك

وما يُقال بالاجمال انَّ حبَّة الخردل اخذت تنمو وتمدّ اغصانها الروحية الى البعيد فانَّ المرسلين البولسيين قد تجوَّلوا في هذه المدَّة في معظم ابرشيَّات طائفتهم حتى حوران وما وراء الاردنّ فاقاموا في مدَّة اقلّ من عشر سنين ١٦٣ رسالة او رياضة وحيثما مرُّوا لم يُسمع غير صوت الثناء العاطر على اعمالهم بارك الله مساعيهم

وكانَّ السيد جرمانوس اذ رأى جمعيَّتهُ قد تأصلت لم يبقَ لهُ مرغوب على الارض فكرَّر قول سمعان الشيخ: «أطلق يا رب عبدك بسلام لأنَّ عينيَّ قد ابصرتا خلاصك» فاراد الله ان يُسرع الى مجازاتهِ على كل ماصنع لمجدهِ عزَّ وجلَّ ولخير القريب فنقلهُ الى نعيم ابرارهِ في ١٣ شباط المنصرم بعد ان محَّصهُ بضعة ايام في بودقة الآلام المبرحة التي قاساها بالصبر الجميل وهو لم يفُهْ بغير كلمة الشكر لله تعالى على كل آلائهِ ويَعدُّ كالرسول موتهُ كانحلال اغلالهِ من حبس الجسد حتى طارت نفسهُ الطاهرة الى الاخدار السرمديَّة اجزل الله ثوابهُ وطيَّب ثراهُ

مطبوعات شرقية جديدة

CHRISTUS : Manuel d'Histoire des Religions par Joseph Huby. Paris, G. Beauchesne et C^ie^, 3^e^ éd. 1912, p. 1036

دليل تاريخ الاديان

علم الاديان احد العلوم المستحدثة التي دخلت في دائرة المعارف البشريّة في عهدنا وهو يُعدّ كفرع من العلوم الاجتماعيّة فأُنشئت في القرن الماضي عدّة مكاتب للبحث عن الاديان البشريّة واصولها وتفرُّعاتها العديدة ونتائجها في المجتمع الانساني بل في كل امة من الامم. وقد وُضعت لذلك المجلّات الخاصة وعُقدت المؤتمرات العموميّة التي دُعي اليها رؤساء اديان العالم حتى الهند والصين ومجاهل افريقية وجزائر اوقيانية. فلا تكاد ترى اثرًا دينيًا الَّا تتوفر فيه الكتابات لتعريف اصله وفصله. ومن المعلوم ان الملحدين ومنكرة الوحي لا يرون في كل هذه الاديان الّا ظواهر طبيعيّة تدلّ على ما في الانسان من الميل الى استكشاف اسرار ما وراء الطبيعة امّا العقلاء فانهم لا يجدون في هذه الابحاث الأوسعة لبيان الغث من السمين والدين الصادق من الاديان الكاذبة كما يُعرَف الضدّ بضدّهِ. ومن افضل ما جاء من التآليف المستحدثة مّما يصلح ان يسترشد به الطلبة كتابٌ اجتمع في تأليفهِ نخبة من علماء الكاثوليك الاختصاصيين فصار له شهرة واسعة حتى بلغ بعد بضعة اسابيع طبعتهُ الثالثة وهي التي في ايدينا. والكتاب في خمسة عشر باباً يبتدئ بنظر عام في تاريخ علم الاديان عموماً ثم تليه دروس في اخص اديان العالم كاديان قبائل افريقية وجزائر اميركة واوسترالية واوقيانية ثم اديان الصين ويابان وايران والهند ثمّ ديانات اليونان والرومان والمصريين والبابليين حتى ينتهي الى الاسلام ثم اليهوديّة ويُختَم بالنصرانيّة والكتاب آية في حسن الطبع تنيف صفحاتهُ على الالف مع صغر حجمهِ وصفاقة ورقهِ. ومن يتصفح باباً منهُ يأخذهُ العجب من سعة معارف صاحبهِ وكثرة مطالعاتهِ للتآليف العلميّة حتى لم يكد يفوتهُ شيء منها مع حصافة الكاتب واعتداله في الاحكام المبنيّة على اصدق الاسانيد واثبتها. ثم تفنيدهِ للآراء الباطلة الشائعة في كتب اعداء الدين او الرواة غير الموثوق بهم. ثم يُختَم كل باب بتعريف اخصّ

المصنفات التي تُفيد مراجعتها لبيان الدين الموصوف فيه. وفي آخر الكتاب فهرس عام يسهّل مراجعة للموادّ المذكورة فيه . فأنا نتمنى ان يقبل اهل بلادنا على هذا التأليف اقبالهم على انفع التآليف واصدقها علماً

ا. كنتاكيس

Textes arabes de Tanger. Transcription, traduction annotée, glossaire par **W. Marçais**. *Paris, Imprimerie Nationale. E. Leroux.* 1911, pp. XVII-504

منتخبات من لغة طنجة

بيَّنا غير مرَّة اهتمام الغربيين المستشرقين بتعريف اللغات العاميّة الدارجة في انحاء الشرق لما يجدون في درسها من الفوائد سواء كان لوصف العادات الشائعة في كل بلد او لمعرفة خواصها اللغويَّة الطارئة عليها من اصليّ ودخيل وفصيح ومعرّب ومستعار . وهذا كتاب جديد من شاكلة تلك التآليف وضعهُ احد علماء الفرنسويين الذي استوطن المغرب وعاشر اهل مراكش زمنًا طويلًا حيث جمع عدَّة روايات واخبار واوصاف فاثبتها كما سمعها من اهل تلك البلاد وألحقها بلفظها بالحرف الاوربي ونقلها الى الافرنسيَّة وذيّلها بالملحوظات التاريخيَّة واللغويَّة وختمها بمعجم عربي افرنسي مطوّل مشحون بالافادات التاريخيَّة واللسانيَّة فكنّا نودّ لو ان المجتهدين من ادبائنا يصنعون للغة لبنان ولغات الشام ما صنعهُ المسيو « مرسه » للغة مراكش فلا نشكّ انَّ محبي اللهجات العاميَّة يستقبلون بالشكر تآليفهم ويثنون عليهم اطيب الثناء.

ل. ش

Essai de Bibliographie pour servir à l'histoire de l'Empire Ottoman par MM. **G. Auboyneau** et **A. Fevret**. Fasc. I, Religion — Mœurs et Coutumes, *Paris, E. Leroux*, 1911, pp. 84

قائمة المطبوعات المقيدة لتاريخ الدولة التركية

كان المسيو أوبوانو احد كبار عمَّال البنك العثماني . فعلاقاتهُ مع الدولة العليَّة حدت بهِ الى تدوين قائمة المطبوعات المنوطة بتاريخ تركيا و كان جمع لذلك مكتبة واسعة يشار اليها بالبنان وكان انتدب لمساعدتهِ في اتمام هذا العمل احد المستخدمين في مكتبة باريس العموميَّة المسيو ففره فلمَّا توفي « اوبوانو » بقي المسيو ففره مأملاز

العمل وها هوذا اليوم قد نشر القسم الاوَّل من هذه القائمة التي سوف تتبعها اقسام أُخرى مثلها في موادّ مختلفة وهذا القسم الحاضر قد خُصَّ بالتآليف الدينيَّة وعادات الاتراك في مذهبهم يجمع فيه وصف ٧٠٦ كُتُب ممّا نُشر منذ اول اكتشاف فنّ الطباعة الى عهدنا في الشرق والغرب ولاسيما في اللغة التركيَّة . فمن يسرّح نظرهُ في هذه المؤلفات يعدّها كمرض عامّ لكل احوال تركيَّة منذ اربعمائة سنة الى يومنا . ويا ليتهُ اثبت اسماء الكتب بحرفها الشرقي بالتركيَّة والعربيَّة والفارسيَّة لكان افادنا بذلك افادةً عظيمة . وممّا وعدنا به انهُ يضيف الى كل قسمين فهرساً موسعاً تسهيلاً لطلب المواد ومنذ الآن ننتظر بقيَّة اجزاء هذا التأليف الذي تتم فائدتهُ الشرق والغرب معاً ولولاهُ لبقيت كتب عديدة مدفونة في زوايا النسيان . ولا شك انّ المسيو فقره يعرّف في الاقسام التالية مطبوعات سوريَّة وخصوصاً منشورات مطبعتنا الكاثوليكيَّة ومكتبتنا الشرقي

الاب ل . رونڤالي

SCIENCE ET RELIGION (*Paris, Bloud et Cie 1912*) : I. E. A. DE POULPIQUET O. P. Le Dogme source d'Unité et de Sainteté dans l'Eglise (p. 112) = II. ABBÉ JEAN DELACROIX : Ascétique et Mystique (pp. 61) = III. W. SCHNEIDER : Preuves de l'Immortalité de l'Ame (pp. 69) adapté de l'Allemand par G. GAZAGNOL = IV : JUDAS DE COLOGNE : Récit de ma Conversion (pp. 64). Introduction et Notes par A. DE GOURLET

اربعة كتب دينيَّة فلسفيَّة تاريخيَّة

لا يزال مجموع مطبوعات «بلود» في العلم والدين تتوسَّع يوماً بعد يوم في كل ابواب المعارف النصرانيَّة . وممَّا اهدانا آخرًا اربعة تآليف : اوَّلها لحضرة الاب الدومنيكاني پولپيكه في علم الكلام اثبت فيهِ المؤلف انَّ قوَّة الدين الكاثوليكي بوحدة تعليمهِ واتّفاق اصحابهِ في العقائد فلو أُصيبت هذه الوحدة بتقسيم اصبحت الكنيسة كمجموع الشيع البروتستانيَّة تتعاورها كلّ الاضاليل حتى لم يعد يتفق اثنان على تعليم واحد . وهذا لا يمنع الكاثوليك ان يتعمَّقوا في الدروس الدينيَّة ويبحثوا عن صحتها ويؤيدوها بالحجج الراهنة . ثم بيَّن المؤلف انَّ العقائد الكاثوليكيَّة فضلًا عن وحدتها تؤدي بالمؤمنين الى اوج القداسة وممارسة اسمى الفضائل — والكتاب الثاني مدارهُ على تردُّد النفس مع الله في الطرائق الخاصَّة التي ارتقى اليها

بعض كبار القديسين بالتجرُّد التامّ عن الحواسّ. ومؤلف هذا الكتاب يدّعي انَّ كل النفوس التائقة الى الكمال الساعية في النموّ الروحي يدعوها الله الى تلك الطرائق اذا ما سارت بامانة في رضى خالقها واتمام كلّ وصاياه على خلاف رأي غيره من الكتبة الذين يرون انَّ تلك الطرائق مختصة بنخبة من الابرار — والكتاب الثالث لاحد اساقفة الالمان السيد شنَيدر صنّفهُ لاثبات خلود النفس على اسلوب علمي وقريب معاً فنقلهُ احد الكهنة الفرنسويين الى لغتهِ لعظم جدواهُ — امّا الكتاب الرابع فهو يحتوي ترجمة احد اليهود المتنصّرين في القرن الثاني عشر للميلاد اسمهُ «يهوذا من كولونية» كان ارتدادهُ الى النصرانية على نوع عجيب [illegible] تسمّى بهرمان وترهب ثم كتب تفاصيل اخبار حياتهِ باللاتينيَّة فنقلها الى الفرنسويَّة المسيو گورله وذيّلها بالحواشي التاريخيَّة والعلميَّة مع مقدّمة طويلة صدّر بها ترجمتهُ ف. ت

Die Thomas- Legende und die aeltesten historischen Beziehungen des indischen Altertumskunde von **Jos. Dahlmann** s. j. *Freiburg i. B., Herder*, 1912, (pp. 174)

القديس توما الرسول ومآثرهُ في الهند

انَّ صاحب هذا التأليف هو الاب دالمان احد علماء اليسوعيين الالمانيين الذي درس زمناً طويلاً اللغات الهنديَّة في برلين ثم انقطع الى درس الصينيَّة وهو اليوم في توكيو عاصمة اليابان يكتب ويخطب ويعلّم. وممَّا ألفهُ آخراً كتاب انتقادي روى فيه كل ما وجدهُ من الآثار عن رسالة القديس توما الرسول في جهات الهند والشرق الأقصى. وقد فحص خصوصاً قصّتهُ القديمة الراقية الى القرن الثالث للمسيح والمؤلفة في مدينة الرها بقلم احد تبعة ابن ديصان. وخلاصة هذه القصة انَّ احد ملوك الهند المسمّى غندفار بلغهُ بواسطة احد ابناء رعاياهُ القادمين الى الرها ما كان عليه توما من الحذق في الهندسة فاستدعاه الى بلادهِ ليبني لهُ قصراً فلبّى القديس دعوتهُ وركب البحر في جهات عدن فوصل الى الهند ونصّر الملك واهل مملكتهِ ثم انتقل الى بلاد أُخرى للتبشير فاستشهد هناك. فتتبع الاب دالمان تفاصيل هذه القصة وبيّن موافقتها لكل ما يُعرف اليوم من تواريخ الهند في القرون الاولى للمسيح تؤيدهُ الاكتشافات الاثريَّة التي ظهرت بحفريّات اصحاب العاديّات. وكذلك ورد في النقود

المكتشفة حديثاً اسم الملك غندفار الذي كان يعدّهُ البعض كشبحٍ لا صحّة لوجوده وكان ملكه على جهات الهند الشماليّة الغربيّـة. وعليه فيجوز القول بانّ النصرانيّة دخلت حقيقةً الاصقاع الهنديّة منذ عهد الرسل وانّ البشارة الرسوليّة بعد ان رسخ قدمها في مملكة غندفار امتدّت من ثمّ الى جهات الجنوب وعلى الاخصّ في اعمال مليبار وسواحل كورمندل. وقد ساعد الرسولَ في نشرها الكلدان الذين كانوا يتاجرون هناك قادمين من انحاء فارس والعراق. واستنتج المؤلف من كل هذه الاشارات على صحة معظم رواية القديس توما ورسالته واستشهاده في الهند. والكتاب مفعم بالملحوظات الجغرافيّة والتاريخيّة والاثريّة التي استلفتت اليها انظار كلّ العلماء. فنشكر للاب داللان همّتهُ في بيان حقيقة لم تزل حتى الآن محجوبةً بالظلمة الاب ب. جوون

Die Uberlieferung der arabischen Übersetzung des Diatesserons v. Dr Seb. Euringer. Mit einer Textbeilage: die Beiruter Fragmente. herausg. u. übersetzt v. Dr Georg Graf. *Freiburg i. B.*, 1912 · pp. 71

بقايا من ترجمة عربيّة للاناجيل المعروفة بالدياطارون لططيانوس

وصفنا سابقاً في المجلّة الاسيويّة الفرنسويّة (JA, 9e sér., X, 303) ثمّ في المشرق سنة ١٩٠١ (٤ : ١٠١) ثلاثة اوراق خطيّة من الترجمة العربيّة لدياطسارون ططيانوس تلميذ يوستينوس الشهيد في القرن الثاني للمسيح. والاوراق المذكورة في مكتبتنا الشرقيّة لها شأن كبير لما في آخرها من الافادات التاريخيّة عن زمن نسخها (سنة ١٣٣٢ م) ثمّ عن سابقة نُسخها السابقة. فكان لهذا الوصف وقع عظيم في ذهن العلماء الاوربيين وفي صيف العام الماضي قدم الدكتور الالماني الخوري جورج غراف فنزل ضيفاً كريماً في كليّتنا ودرس هـذا الاثر درساً نعماً ثمّ اشترك مع احد رصفائهِ الدكتور اورنغر لتأليف كتاب خاصّ في وصف نسختنا البيروتيّة. وقد اهديانا نسخة من عملهما الذي وجدناهُ مشحوناً بالفوائد منها تعريف اسماء النسّاخ والاعلام الشخصيّة والمكانيّة التي في آخر صفحة من اوراقنا. وهما يريان انّ مـا هناك من المعلومات لا يكفي لتأييد شكّنا في صاحب هـذه الترجمة العربية الذي ذُكر اسمهُ صريحاً في النسخة الواتيكانيّـة اي « القس ابو الفرج عبدالله بن الطيب » المتوفّى سنة ١٠٤٣ مسيحيّة. وقد وجدنا في ادلّة الكاتبين ما يقنعنا بقولهما رغماً عمّا جاء في

مخطوطنا من ذكر « نسخة عتيقة جدًّا » بعد توالي ثلاث نسخ اخرى سبقت هذه النسخة « العتيقة جدًّا » الله اعلم. ثم اننا كنا اثبتنا ريبًا في تعريب ابن الطيب للدياطاورون لسبب آخر وهو عدم ذكر هذه الترجمة في جدول اعماله. وهذا الرَّيب الثاني لم يُكشف حتى الآن ل. ش

Noticia de los Manuscritos árabes del Sacro-Monte de Granada por Miguel Asín Palacios, *Granada* 1921. p. 30,

تعريف المخطوطات العربية المصونة في مكتب غرناطة المسمّى ساكرو مونتي

نسب بعض المتطرّفين الى الكردينال كسيميس الامر بحرق كل الكتب العربيَّة التي وُجدت بعد فوز النصارى بحرب الاندلس. والصحيح انّ الكردينال لم يأمر الَّا بحرق الكتب الدينيَّة التي كان يخاف ان تكون سببًا للشغب والنزاع امَّا الكتب العلميَّة والتاريخيَّة والطبيَّة فلم يحرق منها شيئًا. والدليل على ذلك ما لا يزال حتى اليوم مصونًا من المخطوطات العربيَّة في عدَّة خزائن كتبيَّة. وممَّا وصفهُ اخيرًا من تلك الآثار المستشرق الاسباني الخوري ميكال اسين بالاسيوس مخطوطات « سكرو مونتي » في غرناطة وعددها ٢١ كتابًا منها فلسفيَّة وطبيَّة ومنها رياضيَّة ولغويَّة بينها كتاب شرح الطوسي على المائة لبطليموس في احكام النجوم وكتاب الكليَّات لابن رشد وكتاب الكافي في الطبّ وكتاب مختصر العين للزبيدي لا بل يوجد بينها ايضًا كتب دينيَّة ككتاب قصص الانبياء وكتاب المقنع في الفقه وكتاب غريب القرآن. وفيهِ دليل على انَّ كتبًا دينيَّة كثيرة لم تحرق بامر الكردنيال كسيمنيس. فنشكر فضل الدكتور بالاسيوس الذي احكم وصف هذه المخطوطات على طريقة علمية كالوف عادة كبار المستشرقين ل. ش

مبادئ الديانة

تأليف الاب يعقوب بلميس وتعريب الخوري بطرس مراد
طُبع في المطبعة الكاثوليكية في بيروت ١٩١٣ (ص ٩٨)

كُتيّب لطيف ظريف صغير الحجم كبير المغزى صنَّفهُ لاحداث المدارس إمام فلاسفة الاسبان في القرن المنصرم الاب يعقوب بلميس الذي اقام الذكر

مولده يوبيلاً مئويًّا سنة ١٩١٠ مواطنوهُ الاسبانيُّون . ومن ثمَّ سُررنا بنشر بعض مآثرهِ في لغتنا العربيَّة. وكأن ذلك الفيلسوف لم يكتفِ بتصنيف التآليف الفلسفيَّة السامية التي شرَّفت اسمهُ فاراد ان يتنازل الى عقل الاحداث بوضع هذا الكتاب الصغير الذي تعدَّدت طبعاتهُ باللغة الاسبانيَّة وبلغات أُخرى اوربيَّة فوطَّد الايمان في قلوب كثيرين من الشبان فأملنا انَّ هذه الترجمة العربيَّة تصنع كذلك في ناشئة بلادنا وعليهِ نتمنى لها نشراً واسعاً ل.ش

روايات البشير: «ماسوني العذراء»

رواية تاريخيَّة معرَّبة عن الافرنسيَّة بقلم الخوري يوسف العمشيتي
طُبع في بيروت بمطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٩١٢ (ص ٢٠٢)

من اراد ان يعرف دسائس الماسونيَّة في جذب الناس الى شيعتهم وتقييدهم تحت حكمها وتصويرهم على صورتها وتكبيلهم باغلالها عليهِ بهذا الكتاب الذي يصف عملاً ما وصفناهُ بالنظر في كراريسنا «السرّ المصون في شيعة الفرمسون». ولا شكَّ في اقبال القرَّاء على هذه الرواية التي لم تستمر من الروايات الخياليَّة غير هيئتها الخارجة وهي في الحقيقة رواية تاريخيَّة تمَّت بفارونيها غير مرَّة مع اختلاف الاسماء والامكنة والازمنة. فنشكر حضرة المعرّب ونحضّ كلَّ ارباب المدارس على نشر هذه الرواية اللطيفة السبك بقالب عربي جميل مع اتقان طبعها بحيث تصلح لان تكون من انفس الجوائز المدرسيَّة ل.ش

الجواد الادهم

طبعة ثانية. طُبع في المطبعة الاميركانيَّة سنة ١٩١٢ (ص ١٦٦)

اهدتنا المطبعة الاميركانيَّة هذا الكتاب الذي وُضع لتعليم الاحداث الشفقة على الحيوان وهو لعمري نعم التعليم لانَّ الاحداث اذا رفقوا بالحيوان زادوا ايضاً رفقاً بامثالهم. والكتاب مبني على قصة خياليَّة عن لسان جواد ادهم يخبر ما حدث لهُ في عمرهِ من الاحداث مع الذين عُهدت اليهم قيادتهُ فيحسن الطاعة لمن يعاملونهُ بالرقَّة والتؤدة ويسيء العمل نحو من يجهلون سياستهُ. وقد سبقت الى انشاء مثل هذا الكتاب السيدة الكنتة دي سيغور فألفت على صورة لطيفة «مذكرات الحمار»

لافادة الاحداث وتهذيبهم على لسان الحيوان. فنثني على واضع هذا الكتاب ونتمنى ان يشفعهُ بكتاب اجزل فائدة يُعلم فيه الاحداث الشفقة نحو المحتاجين والفقراء وذوي البأساء ليس فقط حباً بالانسانيَّة ولكن حباً بالله الذي قال: «كل ما تصنعونهُ مع احد هؤلاء الصغار فبي تصنعونهُ» ل. ش

هدايا أُرسلت الى المشرق

١ شقاء التاج او حرس جلالتها. رواية تشخيصيَّة تأليف وليم افندي كاتسفليس. طبعت في مطبعة مرآة الغرب في نيويورك سنة ١٩١٢ (ص ٣٨)

٢ البرهان السديد في كشف الاسرار عن وجود الامير سليم عبد المجيد. وهو احد اولاد السلطان مراد الخامس. ولد ونشأ في الديار السورية (على ما يروى) لاحد المكاري الدمشقي (ص ٢٢). يليهِ موجز تاريخ العثمانيين بقلم رشيد دحبول البغداوي (ص ٤٢). وكلاهما طُبع في مطبعة الشعب في لورنس ماس سنة ١٩١٢

٣ الحفلة الخيريَّة لاعانة منكوبي حادثة بيروت الاخيرة. نشرتها مجلَّة الزهور في مصر في مطبعة المعارف سنة ١٩١٢ (ص ١٨)

٤ امير الانسانيَّة انسانيَّة الامير. خطبة في الحادثة عينها طُبعت في المطبعة الشرقيَّة في الاسكندريَّة (ص ٨)

٥ الدمع الساجم في رثاء المرحوم نخله باصيلي سالم. طبع في المطبعة الجامعة في البترون سنة ١٩١٢ (ص ٣٠)

٦ ردّ الشتيمة على الشاتم (وهو ردٌّ على الشيخ النبهانيّ) بقلم وطنيّ حر. طبع في المطبعة الكاثوليكيَّة ١٩١٢ (ص ١٦)

٧ ابن وائل. مأساة تاريخيَّة نثريَّة ذات ثلاثة فصول يتخلَّلها شعر جاهلي بقلم الاب شرل ابيلا اليسوعيّ. وهي المأساة التي أُدرجت في المشرق (ص ٤٥)

٨ موليير مصر وما يقاسيه. رواية تمثيليَّة هزليَّة بقلم الشيخ يعقوب صنوع المشهور بابي نظارة طبع في بيروت المطبعة الادبيَّة سنة ١٩١٢ (ص ٤٠)

٩ التقرير السنوي الثاني لجمعيَّة تهذيب الفتاة السوريَّة في بيروت والشويفات. طُبع في المطبعة الادبيَّة سنة ١٩١٢ (ص ٧٧)

١٠ التقرير الثاني لجمعيَّة اغاثة المسلول في بيروت لسنة ١٩١١. طبع في مطبعة الحسناء (ص ١٧)

١١ حكومت عثمانيَّة طرفندن ايلك تأسيس اولنان مطبعة ويونك نشرياتى محررى و. مستاكيدس في الاستانة سنة ١٩١١ (ص ١٦)

١٢ Alois Musil: Neues aus Arabia Petræa بعض معلومات جديدة عن جهات العرب

١٣ ردّ على كتاب محمد طاهر التنير. بقلم حضرة الاب لويس دريان محرر جريدة الروضة

١٤ J. M. Est. Pereira : Homilia sobre o baptismo de N. S. Jesus Christo attribuida a S. João Chrysostomo ميمر حبشي منسوب الى مار يوحنا فم الذهب في معمودية السيد المسيح

١٥ Idem : Homilia sobre as vodas de Cana de Galileia attribuida a S. João Chrysostomo ميمر حبشي منسوب الى مار يوحنا فم الذهب في عرس قانا الجليل

شذرات

شطط الشيخ النبهاني لمّا احتججنا في العام الماضي على كتابات بعض الصحافة البيروتية رفعنا ايضاً صوتنا لتقبيح ما سطَّره الشيخ يوسف النبهاني في حق الدين النصراني الشريف في كتابه « ديوان المدائح النبويّة » فامرت الحكومة المحليّة اجابةً لدعوة الرؤساء الروحيين بان تُلغى من الكتاب الصفحات التي تمسّ كرامة الدين المسيحي . وقد قرأنا آخراً في جريدة اسلاميّة مصريّة تُدعى الوطنيّة في عددها ٤٧ الصادر في ٩ جمادى الاولى سنة ١٣٣٠ ما حرفهُ : « انّ كتاب النبهاني مع ما يحتويهِ من القصائد البذيئة في حقّ النصرانيّة يُباع في مصر بكثرة حتى انّ الجامع الازهر اصابهُ من هذه الاوساخ الف نسخة وُزّعت على علمائهِ مجاناً » فساءنا هذا الامر كما ساء كل عاقل يسعى بتعزيز الوطن وجمع الكلمة . ويكفينا ان ننقل هنا بعض ما سطَّرهُ في جريدة « الوطنيّة » المذكورة الشيخ المصري الاديب محمّد القلقيلي ليرى قرّاؤنا تطرّف النبهاني واستياء كل نفس حرّة شريفة من عملهِ الدنيّ . قال في مقالة كلها درر عنوانها « العبث بالوطنيّة الى الحكومتين العثمانيّة والمصريّة » :

« في بيروت شيخ مخرف نشأ في حجر الاستبداد وتمرّغ في احضان كبار المستبدين فتبوّأ مركزاً كبيراً في حكومة بيروت اذ كان رئيس محكمة الحقوق فيها وأمنهُ على هذا المركز يومئذٍ قصائدهُ في مدح عبد الحميد وابي الهدى وعزّت العابد والولاة الطغاة البغاة ولم ينسَ حظّهُ من العامّة الذين يشبعون كلّ ناعق فكان ينظم لهم القصائد والاناشيد في مدح النبي صلعم ويملأ بها كتباً يطبعها على نفقة اغنيائهم ويستعين في ترويجها بسلطة الولاة والمتصرفين والقائمقاميين الذين كانوا يحصّلون ثمنها من القرويين قبل ان يحصّلوا منهم الاموال الاميريّة

« هذا الشيخ المخرف هو يوسف النبهانيّ الذي نزعهُ الدستور من مركزه والقاهُ في هوّة

عميقة حيث لا يُشار اليهِ بالبنان ولا يذكر، انسان سُدّت في وجههِ ابواب كان لهُ في فتحها سعة من الرزق ورغد من العيش وجمال فسبح لبعد الصيت وكبر الجاه فحار في امره واخذ يتلمس الاسباب التي تُعيد اليهِ ولو بعض الشيء الذي فقده، فلم يجد غير التكنّف والاستجداء والدبّ بالوطنيّة بالتفريق بين الملل والنحل اولاً وسبٌّ وشتم اساطين الاصلاح ثانياً...

ثم ذكر الكاتب حيَل النبهاني للارتزاق لدى عبد العزيز سلطان مراكش السابق " ولدى " عزت باشا العابد " ولدى " جناب الخديوي امير مصر ، فنال منهم مالاً كثيراً الى ان قال:

« وكنّا ننتظر من هذا الرجل... ان يحفظ عهده في علاء دينهِ ويراعي مبادئ الراقية في احتفاظهِ بشعور الملل والنحل في بلاده وعدم مسّها بما يسوء. ولكنهُ كان على النقيض من ذلك فما كاد يصل الى بيروت حتى طفق يؤلف كتاباً في سبّ النصارى واليهود سبّاً فاحشاً ويتهم قسيسيهم ورهبانهم وحاخاماتهم بافحش النعوت ويناله من عرض المرحومين السيد جمال الدين الافغانيّ والاستاذ الامام الشيخ محمد عبده بما تستحي منهُ غلمان الازقّة وصبيان الحارات وقد تمّ تأليف الكتاب وطبعهُ في بيروت... ومن وقاحة الرجل انهُ جعل الكتاب هديّة لجناب الخديويّ في مقابلة احسانهِ وكرمهِ على ان الامير لو علم باكثر فصول هذا الكتاب البذيئة لندم على وضع احسانهِ في غير موضعهِ... لانهُ حفظهُ الله يبغض المفرّقين بين العناصر ويمقت نابشي القبور وآكلي لحوم الموتى خصوصاً ان كان الموتى من كبار علماء الدين وزعماء المصلحين...

« ومن مصائب العثمانيين ان يظهر هذا الكتاب لشيخ مُعمّم في وقت يجتهد فيهِ عقلاؤهم باصلاح ذات البين بين عناصرهم والتوفيق بين من يجمعهم وطن واحد تحت سماء واحدة بل في وقت اظهر فيهِ مطران بيروت جراسيموس مسرّة لمواطنيهِ المسلمين كل شهامة ومروءة ووطنيّة في منشوره الذي نشرهُ يوم حادثة الاسطول الطلياني في بيروت. بل نعدّ هذا من مصائب المسلمين فقط لانّ هذا المخرف المنسوب اليهم قابل ذلك المنشور بهذا الكتاب البذيّ فهل للحكومة العثمانيّة الدستوريّة ان تأخذ بخناق هذا الشيخ المفرّق بين العناصر وتصادر كتابه وتجمعهُ وتحرقهُ وهل للحكومة المصريّة ان تعنى بمصادرة هذا الكتاب عنايتها بالكتب التي صادرتها ولم تكن تلك في ضررها العمومي اكثر من ضرر هذا الكتاب »

ثمَّ نقل جناب الشيخ القلقيلي ابياتاً تدلُّ على سفاهة النبهانيّ في طعنهِ على النصارى وختم قولهُ بهذه الالفاظ المسجديّة:

« فهل ترضى الحكومتان العثمانيّة والمصريّة عن مثل هذا الكتاب القذر يوزّع جهاراً في طول البلاد وعرضها ؟ نتحقّق انَّ حكومة عبد الحميد لا ترضى بمثل هذه السفاهات فكيف ترضى بهِ حكومتان راقيتان. فلذًا بعد هذا التنبيه نسمع انَّ الحكومة العثمانيّة امرت بالقاء

القبض على الشيخ النبهاني واحالته على محكمة الجزاء ليلاقي جزاء التفريق بين الملل والنحل ومصادرة كتابه وحرقه حتى لا تسري سمومه في جسم الشعب السوري فيحدث ما لا يحمده الدستور ولا ترضاه مصلحة البلاد. واملنا في الوقت عينه نرى الحكومة المصرية شمّرت عن ذراعها ونشيت هذا الكتاب... لنحمد لها سهرها على الآداب العمومية وعافتنا على احساس وعواطف اهل الملل في بلادها من ان يمسّها مثل هذه النفثات السامّة.»

هذا ما كتبهُ احد ادباء المسلمين وان وجد القارئ في قوله حدّة فعليه براجعة قصائد الشيخ النبهاني التي تستحق ما هو اشدّ من ذلك وأقسى. وقد تحرّى مسلم آخر من المصريين الشيخ ابو المعالي السلامي تفنيد اقواله فصلاً فصلاً بتأليف ضخم دعاهُ «غاية الاماني في الردّ على النبهاني» وقام ايضاً غيرهما من الكتبة النصارى والمسلمين لتزييف شتائم الشيخ البيروتيّ في الجرائد والكراريس المفردة. هذا فضلاً عن احتجاج روسا. كل الطوائف على كتابي النبهاني والتمس اثار الله ابصارهما وبصائرهما. وقد بلغنا انّ الحكومة السنيّة مهتمّة بمجازاتهما على فعلهما الذميم وانها ألقت القبض على الشيخ النبهاني في المدينة (يثرب) حيث كان فرّ هارباً.

التقويم الصيني لسنة ١٩١٢ يظهر هذا التقويم في مطبعة الآباء اليسوعيين في زيكاوي منذ عشر سنوات ويهتم بطبعه الآباء الفلكيّون الذين يتولّون اعمال المرصد الشهير الذي هناك. وهذا التقويم يحتوي عادةً معلومات عديدة عن الشرق الاقصى فيقبل عليه الوطنيّون وعلماء اوربا معاً. وقد وقفنا على التقويم الذي ظهر في هذه السنة فاذا هو مجموع في ٦٤١ صفحة مع ٣٩ رسماً او خارطة. وفيه قسم علميّ عن كلّ احوال السنة وحركاتها الفلكيّة. وتقويم اهل الصين مبني على الشهر القمري مع زيادة شهر من وقت الى آخر للتوفيق بين السنة الشمسيّة والقمرية بموجب اصلاح فلكيّين يسوعيّين بشّرا في الصين في القرن السابع عشر الاب شال (Ad. Schall) وثربست (Verbiest). وهذه السنة هي آخرمرّة يجرون فيها على حساب الصينيين السابق لأنّهم قد عوّلوا منذ الآن على متابعة الحساب الغربيّ المعروف بالغريغوري. وقد وافقهم على ذلك القناصل الاوربيّون حتى القنصل المسكوبيّ نفسهُ. وفي هذا التقويم افادات علميّة عن الظواهر الجوّيّة والمغناطيسيّة والزلازل والجغرافية وعلم النبات. وهناك ايضاً نظرٌ عمومي في التقويم الكنسيّ واحوال الكثلكة في انحاء الصين يُستفاد منهُ انّ عدد النيابات والوكالات الرسوليّة مع

ابرشيّة ماكاو كان يبلغ ٤٨ عدداً يتولّى تدبيرها ٤٩ اسقفاً يساعدهم في اعمال الرسالات في كلّ انحاء الصين ٢١٧٦ كاهناً منهم ١٤٢٦ مرسلاً اوربياً و ٧٥٠ كاهناً وطنياً امّا عدد الكاثوليك فبلغ في آخر السنة المتصرمة ١,٣٦٣,٦٩٧ واذا اضفتَ اليهم نيفاً ومئة الف من المرتشدين الذين يستعدُّون لقبول المعموديّة ناهز العدد مليوناً ونصف والامل معقود على ازديادهم اذا ما مُنحت الحريّة الدينيّة التامّة في تلك الممالك الواسعة الذي يبلغ عدد اهلها قريباً من ٤٠٠,٠٠٠,٠٠٠ اي ثلث سكان المعمور

دليل الهند الكاثوليكي للسنة ١٩١٢ هذا دليل آخر يُطبع كلّ سنة في الهند وقد اثبت في عدده الاخير نظراً عمومياً عن الرسالات الكاثوليكيّة في انحاء الهند لسنة ١٩١١ فننقل عنهُ المعلومات الآتية. كان عدد الكاثوليك في الهند الانكليزيّة سنة ١٨٩١ : ١,٦٢٥,٩٤٣ فبلغ سنة ١٩١١ : ٢,١٠٣,٦٣٦ بزيادة ٤٧٧,٦٩٣ في عشرين سنة . وكان عددهم في برمانية ٣٣,٣٠٠ فبلغ ٨٨,٤٤٧ وكانوا في جزيرة سيلان (سرنديب) ٢٣٣,٨٥٦ فاضحوا ٣٢٢,١٦٣. وكذلك زاد عدد الكهنة في الهند البريطانيّة من ٢,٢٤١ الى ٢,٥٥٤ وفي برمانية من ٥٠ الى ١٠٥ وفي سيلان من ١١٣ الى ٢٢٩ امّا الكنائس والمصلّيات فكانت في الهند البريطانيّة ٣,٦١١ وفي برمانية ١٠٧ وفي سيلان ٥١٤ فبلغت سنة ١٩١١ ٤,٩١٤ ثم ٤٧٨ ثم ٧١٢. ويستفاد من الدليل المذكور انّ في الهند ست رسالات للكبوشيين كان عدد المؤمنين فيها سنة ١٩١٠ ٢٩,١٠٧ فاضحوا سنة ١٩١١ ٤,٨٣٨ بزيادة ١١,٦٣٠ ولليسوعيين خمس رسالات كان عدد مؤمنيها سنة ١٩٠١ ٤٨٠,١٩٤ فصار عددهم سنة ١٩١١ ٥٧٩,٨٨٣ بزيادة ٩٩,٢٣٩ ولرسالات باريس الاجنبية اربع رسالات كان الكاثوليك فيها ٣٠٨,٤١٢ فصاروا اليوم بعد عشر سنوات ٣٢٨,٤١٦ بزيادة ٢٠,٠٠٤ وللرسالات البرتغاليّة في الهند اربع رسالات ارتقى عددها من ٥٤٦,٩٦٤ الى ٥٨٤ ٥٠١ بزيادة ٢٧,٥٣٧ ويؤخذ من هذا الدليل ايضاً الجدول الآتي:

	الهند الانكليزيّة	برمانية	سيلان	المجموع
المرسلون الاوربيّون	٦٥٨	٩١	١٦٧	١,٣١٦
الكهنة الوطنيّون	١,٥٩٦	١٤	٦٦	١,٦٧٦
المساعدون من الرجال	٦,٢٨٤	٥٧٥	٨٨٨	٧,٧٤٧
« من الراهبات	٥,٧٩٩	٣٢٧	٨٢٠	٦,٩٤٦
المدارس	٣,١٥٢	١٤٠	٧٠٦	٣,٩٩٨
الطلبة في المدارس	١٨٦,١٦١	٣,٠٣٠	٥٦,٨٦٣	٢٤٦,٠٥٣
المتنصّرون سنة ١٩١١	١١,٤٣٦	٨٨٥	١,٧٧١	١٤,٠٩٣

انتقاد — انتقدت علينا مجلة البصائر في عددها الخامس ص ١٧٢ سهوًا وقع في قراءة الكتابتين اللتين رسمناهما بالفوتغراف عن جامع دير القمر المبني في القرن التاسع للهجرة (في المشرق السنة ١٩٠٩ ص ٧٦٦) فطبع هناك « إقامة الصلوة وايتاء الذكوة » والصواب « إقام الصلوة وايتاء الزكوة » بحذف التاء من « إقام » وهي مصدر كاقامة ثم كتابة « الزكوة » بالزاي. فنشكر للوصيفة تنبيهنا الى هذا السهو. امّا قولها التالي: « والآية ذاتها منقوشة مكرّرة على الواجهة المذكورة وفيها نقصان الخ » فانّنا اشرنا الى هذا النقصان في المشرق حيث قلنا (ص ٧٦٧) « ان الكاتب اضرب عن الاربعة الالفاظ المذكورة آنفًا ولعلّه صنع اختصارًا لضيق المكان » امّا صاحب البصائر فيظنّ انّ الامر « وقع سهوًا او لعدم حفظ الكاتب للقرآن » والله اعلم

سيدة لبنان — قد تكرّرت في هذا العام كما في العام السابق زيارة النصارى لسيدة لبنان فاقاموا الرياضات التقويّة عند ذلك التمثال المهيب الذي يعلو مشارف الجبل ويبسط على اهلهِ حماية مريم العذراء. لكننا نؤمّل من غيرة اللبنانيين فوق ذلك فنتمنى ان يخصّوا في كل سنةٍ يومًا يقصد فيه جماعيرهم ذلك المزار من كل انحاء الجبل فيشاركهم في تعبدهم نصارى الساحل من جهات صور وصيداء الى جهات طرابلس. لعمري لو رأينا مشهدًا كهذا يجمع عند اقدام سيدة لبنان الالوف المؤلفة من المؤمنين المتسمين الى عبادتها لكان لهـذا المنظر احسن موقع في الصدور ولأحيا في قلوب الجميع كل شواعر الايمان ولعل هذا الموسم العمومي يبطل كل ما يضعف قوى اللبنانيين من التحزبات ويزيـل اسباب النفور ويربطهم باوثق عُرى

الوحدة والوفاق في ظلّ « ارزة لبنان » و « معونة النصارى ». وليس في تحقيق هذه الرغبة كبير امر اذا اتّفق عليهِ رؤساء الدين الاجلّاء. فيثبّوا احدًا من آحاد السنة لاسيما في شهر أيار كموعد لهذا الموسم او يختاروا لذلك عيدًا من اعياد البتول كعيد انتقال العذراء الى السماء في منتصف آب او مولدها الشريف في ٨ ايلول. فتُقام الذبيحة الالهيّة صباحًا قبل احتدام الحرّ ويُكرَّس لبنان لسيدتهِ لتحفظهُ من كوارث الدهر وتصون في قلوب اهلهِ وديعة الايمان

أسئلة وأجوبة

س سأل مستفيد ما السبب لعدم وجود وزن فَعِلَ يَفعُلُ في العربيّة وزن فَعِلَ يَفعُلُ

ج السبب هو بعد مخرج الضمّة عن الكسرة. على انّ العرب ذكروا افعالاً قليلة من هذا الوزن. وقد وجدنا في شرح المفضّليات لابن الانباري في شرح بيت من عينيّة عبدة بن الطبيب

فَضلَت عداوتُهُم على احلامهم وأبَت ضبابُ صدورهم لا تُنزَعُ

ما حرفهُ: « فَضِل بكسر الضاد يَفضُلُ بضمّ الضاد وليس في الكلام على فعِلَ يفعُلُ غيره . . . قال ابو عمرو: قد جاء نَعِمَ يَنعُمُ وحَضِرَ يَحضُرُ بهذا في السالم. وفي المعتلّ دامَ يدومُ ومات يَموتُ ». كذا قال والعجب انّ لا احد من النحويّين ينصُّ على ذلك. وقد ضبط في المفضليّات (ص ٣٠١ ed. Lyall) « يمِتْ » بكسر الميم كانّ اصل مات « مَيِتَ » كما في السريانية (ܡܺܝܬ ܢܶܡܽܘܬ)

س وسأل آخر من اين اخذوا قولهم « قارة » آسية وامبركا وكيف تُضبَط أبالراء المشدَّدة (قارّة) او المخفّفة (قارَة) ؟

القارة

ج هذه اللفظة بالمعنى الجاري اليوم اي لاحد اقسام الدنيا الخمسة المأهولة مستحدثة لم نجدها في كتب وصف البلدان. والبعض يشدّدونها من القرار اي الثبات وعندنا انّ الاصحّ « القارَة » بالتخفيف ومعناها بالعربية « ما صَلُبَ من الارض وارتفع » وكذلك شرحها مفسرو المفضليّات (ص ٣٠٠ ed. Lyall)

س سألنا ج. ح. احد تلامذتنا المسلمين في البلد أيجوز لمسلم ان يدخل الماسونية ؟

دخول المسلم في الماسونيّة

ج استفتينا بعض افاضل المسلمين فكان جوابهم سلبيًا. ودونك ما كتبهُ في هذا الصدد صاحب المنار الاسلامي (ج ١٤ص ٤٣٠):

لا يجوز للمسلم ان يدخل في جمعية يتحالف مع اهلها ويتعاهد على امر مخالف للشرع. ومنهُ ان يتبعهم فيا يأمرونهُ بهِ بقرار الجمعية كائنًا ما كان اي ولو مخالفًا للشرع كاعطاء الشيء الى غير اهلهِ وقتال من لا يجوز قتالهُ شرعًا كما هو شان بعض الجمعيات السياسية السريّة ولا ينبغي لهُ ان يدخل في جمعيّة لا يعرف مقصدها لانهُ ربما كان مقصدها محرّمًا ولانهُ لا يليق بالعاقل ان يلتزم القيام بما يجهل حقيقتهُ وعاقبتهُ. فان دخل في جمعية على انهُ ليس فيها شيء مخالف للشرع الثابت ثمَّ ظهر لهُ فيها ما يخالفهُ ولم يستطع ازالتهُ وجب عليهِ ان يتركها ويتبرأ منها

س وسأل مستفيد اصحيح انَّ العذراء بترونيلا كانت ابنة بالجسد للقديس بطرس الرسول ؟

بترونيلا ابنة القديس بطرس

ج كانت ابنتهُ الروحيّة لانَّ بترونيلا المذكورة رومانية الاصل من أسرة فلافيوس فنصّرها القديس بطرس مع غيرها من اهلها لمّا دخل رومية وقد اكتشف السيو دي روسي سنة ١٨٧٤ الباسيليكا القديمة المشيّدة لذكرها

س وسأل احد افاضل الكهنة من لبنان لو تنصّر رجل وامرأته: ١: هل يحسن ان يعطيا سرَّي التوبة والقربان الاقدس على اثر التعميد. ٢: هل خطاياهما الماضية مادة كافية لنحلة السريّة. ٣: هل يلزم تجديد رضاهما ليصير عقد زواجها سرًا

المتنصر حديثًا

ج اذا تنصر الرجل البالغ سنّ التمييز ينبغي أن يُحرَّض على التوبة عن جميع خطاياهُ ويقصد ألّا يعود اليها ولا حاجة الى ان يعترف بها لانَّ العماد باب الاسرار. ثمَّ يُمنَح سرّ العماد الذي يمحو فضلًا عن الخطيئة الاصليّة الخطايا الفعليّة بشرط الندامة عليها. وليس من مانع بعد ذلك ان يقتبل سرّ القربان الاقدس لحصولهِ على البرارة الاصليّة ولأنَّ الخطايا الفعليّة قبل العماد ليست مادّة لسرّ التوبة. امّا اذا كان المعتمد متزوجًا وكان زواجهُ قانونيًا قبل العماد ورضي الزوجان ان يعيشا معًا بالوفاق فلا حاجة الى تجديد الرضى واستئناف عقد الزواج لانَّ الزواج السابق ثبت الّا اذا كان احد الزوجين مؤمنًا فاقترنا اقترانًا غير شرعي فحينئذ يطلب استئناف الرضى ويتزوجان زواجًا قانونيًا

ل. ش